شبكة الألوكة

هذا هو النبي

صلى الله عليه وسلم

تأليف

أبي حبيبة محمد أحمد العيسوي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا هو النبي

صلى الله عليه وسلم

تأليف

أبي جبيبة محمد أحمد العيسوي

قدم له

أ.د. صبري عبد الرؤوف
أ.د. أحمد بن منصور آل سالك
أ.د. عبد الله بركات
الشيخ / مسعد أنور

المكتبة الإسلامية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإهداء

إلى أبي وأمي:

اللهم اجعل قبرهما روضة من رياض الجنة واغفر لهما واجعلهما من الذين تظلهم في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك.

اللهم احفظ أولادي واجعلهم ذرية صالحة

اللهم ربِّ لي أولادي واشف مريضهم وقوِّي ضعيفهم وأحسن تربيتهم واجعلهم سببًا في دخولنا الفردوس الأعلى مع سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

اللهم إننا دافعنا عن نبيك بهذا الكتاب يارب تقبله منا واجعله خالصًا من النفاق والرياء واسقنا شربة هنيئة من يده الشريفة لا نظمأ بعدها أبدًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه.

أما بعد: فهذه الخواطر الإيمانية التي قام بإعدادها الشيخ الفاضل/ أبو حبيبة محمد أحمد العيسوي، وذلك تحت عنوان:

(هذا هو النبي محمد ﷺ)

أعدها الشيخ إعدادًا طيبًا، جمعها من كثير من المراجع والكتب الإسلامية، والقارئ الكريم حينما يتأمل المسائل المتعددة التي تدل علىٰ حب الشيخ لسيدنا رسول الله ﷺ الذي أراد أن يناقش بعض أقوال المستشرقين وأصحاب الهوىٰ والذين حاولوا الإساءة إلىٰ سيدنا رسول الله ﷺ.

والمستشرقون وأعداء الإسلام نراهم في كل زمان ومكان يشككون الناس في هذه الشخصية الفريدة هي خير شخصية عرفها التاريخ الإسلامي منذ زمن بعيد، ولا يزالون إلىٰ يومنا هذا، ولكن الله ﷻ من ورائهم محيط.

لقد حاول الشيخ أن يظهر شخصية رسول الله ﷺ كما ينبغي، وأثبت رسالته بكافة الأدلة العقلية والنقلية.

وتعرض الشيخ إلىٰ بعض الشبه التي يرددها المغرضون من أجل الطعن في شخصية سيدنا رسول الله ﷺ ليقللوا من شأنه حتىٰ لا يطمئن الناس إلىٰ نبوته.

ولكنه بتوفيق من الله ﷻ حاول قدر استطاعته أن يدافع عن النبي ﷺ بكافة الوسائل التي تثبت رسالته، وأنه ﷺ وإن كان بشرًا إلا أن الله ﷻ حماه وحفظه من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الزلل ليعلم الناس أنه معصوم من الرذائل؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نبي وهو القدوة التي يهتدي الناس بها في كل زمان ومكان.

ولهذا فإنني أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا جميعًا من أحباب المصطفىٰ ﷺ السالكين هديه، وصلىٰ الله علىٰ خير معلم وخير رسول.

أ.د/ صبري عبد الرءوف
جامعة الأزهر الشريف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ وبعد..

إن الحديث عن ينابيع جود الله تعالىٰ، حديثًا ماتعًا يحبه القاصي والداني، كيف لا؟! والحديث في هذه المرة عن محمد ﷺ، أكمل الخلق روحًا وعقلًا، وأقومهم بدنًا ورسمًا، وأعلاهم قدرًا وذكرًا، وأرفعهم فضلًا ونبلًا، وأشرفهم مجدًا وعزًّا، وأحسنهم خُلقًا وخَلقًا، وأصدقهم قولًا وفعلًا، وأصفاهم طوَّيةً وقلبًا، وأطهرهم نية وقصدًا، وأهداهم طريقًا وهديًا، وأرشدهم سلوكًا ومنهجًا، وأسدَّهم مسلكًا ورأيًا، وأنبلهم غايةً ومقصدًا، وأكرمهم أصلًا ومحتدًا، وأعزهم بيتًا ومنبعًا، وأعرقهم أرومة وجمعًا.

كيف؟!!

وقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، وربَّاه فأكمل تربيته، وآواه إلىٰ كنف عزِّه في يتمه، وهداه من جدة تعبُّده إلىٰ نور نبوته، وأغناه من عَيْلته فلم يحوجه لغير جوده، وشرح له صدره حتىٰ انفسح لكتاب الكون علمًا ومعرفة، ورفع له ذكره فقرنه إعزازًا له في تحقيق الإيمان به بذكره، وجعل محبته شطر الإيمان، واتباعه عون محبته، فلا إيمان يقينًا لمن لم يكن محمد ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وأحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، ولا إيمان يقينًا لمن لم يكن هواه تبعًا لما جاء به من الهُدىٰ والعلم، ولن يغني في قبول الإيمان اتباعٌ مع جَفْوة، أولئك يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولن يفارق الإيمان صدق المحبة، فالاتباع المرضي لمحبة الله تعالىٰ هو الاتباع النابع من المحبة لنبيه ﷺ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن هنا كانت طاعتُه – أي: الله تعالىٰ – طاعتَه؛ أي: النبي ﷺ، وهديه هديه، ورضاه رضاه، وبيعتُه بيعتَه، وصراطُه صراطَه.

خلع عليه حلل فيضه، وألبسه خِلَع رأفته ورحمته، فكان الرءوف الرحيم بالمؤمنين، وكان المرسل رحمة للعالمين، وخصَّه بالصلاة عليه، ومنح ملائكته – تشريفًا– هذا الفضل بين يديه، وأمر عباده المؤمنين أن يتخلَّقوا بخلقه الأعلىٰ، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه.

فلم يحفظ التاريخ في سجلاته أن عظيمًا من عظماء الوجود التاريخي في دنيا الإنسان منذ كانت هذه الحياة كتب عنه الكاتبون، أو سجلت عنه الأحداث والوقائع مثل أو قريبًا مما كُتب أو سُجِّل عن محمد ﷺ، كمًّا وكيفًا، وكثرةً وتنويعًا.

فسيرته في خصائص رسالته لم تزل –منذ بعثه الله تعالىٰ رسولًا إلىٰ كافة الناس– ميدانًا لأقلام الكاتبين، وأسلاب ألسن الباحثين، ومنهلًا لأفكار عباقرة المفكرين، ومجالًا فسيح الأرجاء لأحداث الحياة ووقائعها، وموردًا لروَّاد المعرفة من أفذاذ المؤلفين.

فقد كتب عنه المؤمنون برسالته من العلماء والمفكرين، وحملة الأقلام من الباحثين، وتَغَنَّىٰ بسيرته مدارة الفصاحة من الأدباء، ومصاقع الشعراء، ومفوَّهو الخطباء، كما استغرق أنفاس حياتهم في مدىٰ ما مر من دوران الفلك، لا يفترون، ولا يستحسرون، تدفعهم أشواق المعرفة إلىٰ الاستزادة من الغوص في أعماق رسالته، ليكشفوا عن مآثر خلودها في آفاق شمولها، ومواقع عمومها، ويبينوا عناصر الفضائل في سمو إنسانيتها، حتىٰ ودَّعوا أقلامهم راحلين إلىٰ الأبدية، ولما يبلغوا من الحديث عن هذه الخصائص نقطة الانطلاق في بداية مبلغها من الهداية وسمو الغاية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما كتب عنه الذين لم يؤمنوا برسالته ﷺ الكثير البالغ قبولًا وإعجابًا وردًّا وانتقادًا، في دراسة باحثة متعمقة، مما حفلت به مكتبات العالم في شرق الأرض وغربها، لا سيما في أوربَّة منذ نهضتها الفكرية التي غزت بها الشرق الإسلامي، وأرضعته أفكارها وثقافاتها، وعلومها ومعارفها، ومظاهر حضارتها، وأخلاقها وعوائدها، وشعاراتها في الحياة، وهي تقود من وراء ذلك جيوشها وأساطيلها، وتجاراتها، وصناعاتها، وأموالها؛ لتستأثر بخيرات هذا الشرق، وتستعمر أرضه، وتستعبد أهله.

وحسب الباحث في باب الإيمان بصدق ذلك أن يتيح لعقله، بل لخياله تصور ما كتب عن خصائص رسالته ﷺ، في هديها وإصلاحها، ويعرف معرفة صدق أن رسالة محمد ﷺ كانت ولا تزال فتحًا جديدًا أمام الفكر الإنساني، أتاح له الانطلاق إلىٰ لون جديد من المعرفة، لا يقف عند غاية، ولا تعرف الحياة له نهاية.

وإذا كان التراث الإسلامي الذي اتخذ من خصائص رسالة محمد ﷺ محوره الذي دار حوله بهذه المثابة من الضخامة والعظمة، فالذين يكتبون اليوم وغدًا عن محمد ورسالته ﷺ، ماذا يكتبون؟ أتراهم يجترُّون ما يجتنون من ثمار أولئك الكاتبين من القدامىٰ والمُحْدثين؟ أم أنهم سيجدون لأقلامهم مراتع جديدة لم تنسرب إلىٰ مروجها أقلام من تقدَّمهم؟

وحينئذٍ يكتبون في خصائص رسالة محمد ﷺ وحقائقها، وفنون هدايتها جديدًا، يبرزون به كوامن من أسرارها، وأسرارًا من كوامن هدايتها.

فمحمد ﷺ في خصائص رسالته الخالدة، وخصائص إنسانيته السامية هو شمس الوجود الروحي في هذا الكون المحجب بغلائل الجلال الإلهي. حظىٰ العامة منه حظهم من شموس الوجود المادي، رأوا ضوء رسالته بأعين بصائرهم، فمشوا إلىٰ نورها يستبشرون برحمتها، وأحسوا حرارة هدايتها فدلفوا لها يستظلون بعدها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والوجود الروحي الذي جعل الله تعالىٰ محمدًا ﷺ شمسه هو القوة الربانية المنبثة في ذرات الكون، تبث فيها الحياة، وتحركها المقدرة في كتاب الغيب، فلا تحيد عنها مسرعة ولا مبطئة.

فما كُتب وما يُكتب عن محمد ﷺ ورسالته، في شمولها تشريعًا وهديًا، وعمومها زمانًا ومكانًا، وأعصرًا وأجيالًا، وفي خلودها بمعانيها وحقائقها، وأنظمة الحياة في تقنينها وأحكامها، وحكمها ودعائم قيمها الروحية، وأسلوبها في التعبير عن مقاصدها وأهدافها، ووسائلها، وطرائق منهجها في التوجيه والإرشاد، لم يسجل إلا نقطة في خط الدراسة والبحث.

وما كتب وما يُكتب عن شخصية محمد ﷺ وشمائله، وأخلاقه، وخلائقه، وإبراز خصائص الإنسانية التي جبله الله عليها وأدَّبه بها لتكون عدته في اقتداره علىٰ حمل عبء رسالته الخاتمة لرسالات السماء، لم يأتِ ولن يأتي إلا علىٰ بعض معالم هدايته في رسالته، وإلَّا علىٰ بعض خصائصه في إنسانيته، وما حباه الله به من الكمالات البشرية؛ لأنه اختاره رسولًا إلىٰ كافة الناس في كافة الأزمنة والأمكنة والأحوال.

فلا بد إذًا أن يكون لكل جيل من البشرية في كل زمان وفي كل مكان، وعلىٰ أية حال من العلم والمعرفة حظُّه من رسالته، وحظُّه من دعوته، وهدايته، ومنهجه، وشمائله، مهما اختلفت بالناس مناحي الحياة وطرائق التفكير، ومهما تطورت العلوم والمعارف ووسائلها، ومهما تنوَّعت أساليب الحياة الاجتماعية في المجتمع البشري، ومهما بلغ العقل الإنساني من مراتب النضج في التفكير.

ولهذا فقد سُررت أيما سرور لما جاءني أحد أبنائنا؛ الابن الكريم/ محمد أحمد العيسوي – سلَّمه الله من كل سوء- بكتابه الموسوم بـ: [هذا هو النبي محمد ﷺ]. وكان هذا هو الكتاب الثاني منذ الحادثة التي تكلَّم فيها شرذمة من الناس في حقه ﷺ، إذ الكتاب الأول كان لإحدىٰ بناتنا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا هو الكتاب الثاني الذي أَشْرُفُ بحق أن أقدم له، فجزىٰ الله ابننا الكريم خيرًا، وجعله في ميزان حسناته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم

فجر يوم الخميس العشرون من ذي القعدة لسنة واحد وثلاثين وأربعمائة من الهجرة الموافق التاسع والعشرين من عام ألفي وعشرة من الميلاد.

SSS

كتبه

خادم العلم وأهله

أحمد منصور سالك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده تعالىٰ، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخليله، بلغ الرسالة، وأدّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتىٰ أتاه اليقين فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد... يقول الله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت:٤٦].

ففي هاتين الآيتين الكريمتين يأمرنا الله ﷻ أن ندعو إلىٰ شريعة الإسلام بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، ومن احتاج منهم إلىٰ مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، وأمر الله ﷻ نبيه بلين الجانب، كما أمر موسىٰ وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلىٰ فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[طه].

وامتثالًا لأمر الله ﷻ، أعددت هذا البحث كتعريف بنبينا محمد ﷺ من باب قوله تعالىٰ: ﴿مَّعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأعراف]. وأعترف لكم بأنني كنت أسأل نفسي وأقول: هل أنا مقصر في حق النبي ﷺ؟ وأقول لنفسي: والله إنّ الذي يسب رسول الله لا يعرفه، لا يعرف حسن أخلاقه، ولا يعرف تسامحه مع أعدائه، ولا يعرف معاملته مع زوجاته ومع أصحابه، ولا يعلم شيئًا عن تواضعه. لا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعرف شيئًا عنه.

فالواجب عليَّ كمسلم أن أبلِّغ هؤلاء الذين تعدّوا علىٰ حبيبنا رسول الله ﷺ وأقول لهم: والله إذا عرفتموه لأحببتموه ولعرفتم قدره.

وها أنا ذا قد أتيحت لي الفرصة للتعريف بنبي الرحمة محمد ﷺ ومهما كتبت عنه ﷺ فلن أوفيه حقه.

ولكن اجتهدت بقدر المستطاع حتىٰ أبين للمجتمع الغربي مَنْ هو رسول الله؟ فبدأت البحث بالتعريف به ﷺ وجوانب من رحمته وحكمته مدعمة بآراء من عاش مع النبي ﷺ وسعد بصحبته كما استشهدت بآراء الكفار الذين آذوه وبآراء أناس من الغرب تركوا الأهواء والعصبية الجائرة وتكلموا عن النبي محمد ﷺ بمنتهىٰ العدل، فمنهم من أحبه مثل كارليل، ومنهم من جعله أعظم عظماء العالم مثل لامارتين ومايكل هارت، وهذا من باب وشهد شاهد من أهلها.

ثم انتقلت في الباب الثاني إلىٰ علاقة رسالة النبي محمد ﷺ بالرسالات السابقة.

ثم بينت في الباب الثالث الأدلة العقلية والكونية والعلمية علىٰ نبوة المصطفىٰ ﷺ، ثم انتقلت في الباب الرابع إلىٰ ادعاءات المستشرقين حول النبي محمد ﷺ وحاولت في هذا الباب أن أجمع ما وصلت إليه من شبهات أثيرت حول المصطفىٰ قديمًا وحديثًا والرد عليها من خلال المفكرين الغربيين الذين دافعوا عن النبي ﷺ.

وحاولت في الباب الخامس أن أبين ما هي ضوابط الدين الحق ثم بينت ما معنىٰ الإسلام وبينت خصائصه ومميزاته عن الملل الأخرىٰ، ووضحت أن الإسلام يأمرنا بأن نؤمن بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ولا نفرق بينهم وما معنىٰ الحرية عندنا وضوابطها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخيرًا: أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتنا وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يجعلنا من المتبعين سنته ﷺ، وأن ينفع بهذا البحث كل من قرأه فهو ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم والوكيل.

الفقير إلى عفو ربه

محمد أحمد العيسوي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب الأول

التعريف بالنبي محمد ﷺ ورسالته

وإبراز جوانب الرحمة والتسامح والحكمة في دعوته

أولًا: التعريف بالنبي محمد ﷺ ورسالته:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وعدنان من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام –.

وأم النبي ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وزهرة أخو جد النبي ﷺ.

وقد تزوج بها عبد الله والد النبي ﷺ فبنىٰ بها في مكة فلم تلبث أن حملت بالنبي ﷺ ولم تجد في حمله ثقلًا، ولا وحمًا كما هو شأن النساء.

وقد ولدته أمه سويَّ الخلق، جميل الصورة، صحيح الجسم، وكانت ولادته عام الفيل الموافق للواحد والسبعين وخمسمائة ميلاديًّا.

وقد توفي والده وهو في بطن أمه، فكفله جده عبد المطلب، وأرضعته أمه أسبوعًا ثم ثويبة مولاة أبي لهب.

وكان من عادة العرب أن يسترضعوا لأولادهم في البوادي؛ حيث تتوافر أسباب النشأة البدنية السليمة. فعهد جده بإرضاعه إلىٰ امرأة يقال لها: حليمة السعدية من بني سعد بن بكر، ولقد رأت حليمة السعدية من أمر هذا الرضيع عجبًا، ومن ذلك أنها أتت مع زوجها إلىٰ مكة علىٰ أتان هزيلة بطيئة السير، وفي طريق العودة من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مكة، وهي تضع الرضيع في حجرها كانت الأتان تعدو عَدْوًا سريعًا، وتُخَلِّف وراءها كل الدواب؛ مما جعل رفاق الطريق كلهم يتعجبون.

وتحدثت حليمة بأن ثديها لم يكن يدرُّ شيئًا من الحليب، وأن طفلها الرضيع كان دائم البكاء من شدة الجوع، فلما ألقمت الثدي رسول الله ﷺ در لبنًا غزيرًا، فأصبحت ترضعه وترضع طفلها حتىٰ يشبعا.

وتحدثت حليمة عن جدب أرض قومها ديار بني سعد، فلما حظيت بشرف رضاعة هذا الطفل أنتجت أرضها وماشيتها، وتَبَدَّلت حالها من بؤس وفقر إلىٰ هناء ويسر.

وبعد سنتين عادت به إلىٰ أمه وجده في مكة، ولكنها ألحّت علىٰ أمه أن توافق علىٰ بقائه عندها مرة ثانية؛ لما رأت من بركته عليها؛ فوافقت أمه آمنة، فعادت حليمة بالطفل مرة أخرىٰ إلىٰ ديارها والفرحة تملأ قلبها.

وبعد سنتين عادت به حليمة إلىٰ أمه، وعمره آنذاك أربع سنوات، فحضنته أمه إلىٰ أن توفيت، وكان له من العمر ست سنين، فكفله جده عبد المطلب سنتين ثم توفي، فأوصىٰ به إلىٰ ابنه أبي طالب عم النبي ﷺ فأحاطه بعنايته كما يحوط أهله وولده.

إلا أنه كان لفقره يعيش عيش الشظف؛ فلم يتعود ﷺ نعيم الترف. ولعل ذلك من عناية الله بهذا النبي الكريم.

وكان ﷺ قد ألف رعي الغنم مع إخوانه من الرضاع لما كان في بادية بني سعد، فصار يرعىٰ الغنم لأهل مكة؛ فيوفر علىٰ عمه أبي طالب بما يأخذه علىٰ ذلك من الأجر.

ثم سافر مع عمه أبي طالب في تجارة إلىٰ الشام، وله من العمر اثنتا عشرة سنة، وشهران، وعشرة أيام، وهناك رآه بحيرىٰ الراهب، وبشر به عمه أبا طالب، وحذره

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من اليهود عليه بعد أن رأىٰ خاتم النبوة بين كتفيه[١].

ثم سافر مرة أخرىٰ مُتَّجرًا بمالٍ لخديجة بنت خويلد، فأعطته أفضل مما كانت تعطي غيره؛ إذ جاءت تلك التجارة بأرباح مضاعفة.

وكانت خديجة هذه أعقل وأكمل امرأة في قريش، حتىٰ كانت تدعىٰ في الجاهلية: «الطاهرة» لما لها من الصيانة والعفة والفضائل الظاهرة.

ولما حدثها غلامها ميسرة بما رأىٰ من النبي ﷺ في رحلته معه إلىٰ الشام، من الأخلاق العالية، والفضائل السامية، وما قاله بحيرىٰ الراهب لعمه أبي طالب في رحلته الأولىٰ إلىٰ الشام تعلقت رغبتها به، وبأن تتخذه زوجًا لها، وكانت قد تزوجت من قبل، وتوفي عنها زوجها؛ فتم ذلك الزواج الميمون، وكان عمره آنذاك خمس وعشرين سنة، وعمرها قريبًا من أربعين سنة.

ولم يتزوج عليها طيلة حياتها، وتوفيت بعد البعثة النبوية بعشر سنين، فكان كثيرًا ما يذكرها، ويتصدق عنها، ويهدي لصاحباتها، وهي الزوجة التي رزق منها جميع أبنائه عدا إبراهيم فإنه من زوجته مارية القبطية.

❁ بدء الوحي:

بلغ النبي ﷺ أشده وقَرُب من الأربعين، واكتملت قواه العقلية والبدنية، وكان أول ما بُدِئَ به من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح واضحة كما رآها في منامه.

ثم بعد ذلك حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بنفسه في غار حراء في مكة، فيتعبد لله الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود بالطعام والشراب، حتىٰ جاءه الحق، وهو علىٰ هذا الشأن حتىٰ نزل عليه الوحي، وذلك بأن تمثل له المَلَكُ

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جبريل، ولقنه عن ربه أول ما نزل من القرآن، فقال: ﴿اقْرَأْ﴾ فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، فقال له: ﴿اقْرَأْ﴾فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، فقال: ﴿اقْرَأْ﴾فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، وكان جبريل بعد كل جواب من الأجوبة الثلاثة يضمه علىٰ صدره، ويعصره حتىٰ يبلغ منه الجهد.

ولما تركه جبريل في المرة الثالثة ألقىٰ عليه أول آيات أنزلت من القرآن، وهي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق].

بهذه الآيات العظيمة التي تأمر بالعلم، وتبين بداية خلق الإنسان بدأ نزول الوحي علىٰ النبي ﷺ فرجع النبي إلىٰ خديجة يرجف فؤاده، ولكنه حفظ رشاده، فقال: «**زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي**» يعنيَ لففوني بالثياب، ففعلوا، حتىٰ إذا ذهب عنه الروع أخبر خديجة الخبر وقال: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**».

فقالت خديجة رضي الله عنها: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق».

وهكذا استدلت هذه المرأة العاقلة علىٰ أن من كان هذا شأنه في محبة الخير للناس فلن يخذله الله؛ فسنة الله تقتضي بأن الجزاء من جنس العمل.

ثم انطلقت بعد ذلك خديجة بالنبي ﷺ حتىٰ أتت ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب الإنجيل بالعبرانية، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت خديجة له: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترىٰ؟ فأخبره ﷺ خبر ما رأىٰ، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جذعًا –أي: شابًّا– ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال له الرسول ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم توفي ورقة، وفتر الوحي[(١)] أيامًا، قوي فيها استعداد النبي ﷺ واشتد شوقه وحنينه.

قال ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي فِي حِرَاءَ**»[(٢)].

فرجع إلىٰ أهله فتزمل، وتدثر (أي تغطىٰ بالثياب).

ثم أنزل الله عليه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر].

أي: قم يا أيها الذي تدثر بثيابه، فأنذر الناس بالقرآن، وبلغهم دعوة الله، ويحتمل أن المراد بثيابه: أعماله كلها؛ وبتطهيرها: تخليصها والنصح بها وإيقاعها علىٰ أكمل الوجوه، ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة.

ثم حمي الوحي بعد ذلك، وتتابع، وبلَّغ ﷺ دعوة ربه حيث أمره، وأوحي إليه بأن يدعو الناس إلىٰ عبادة الله وحده، وإلىٰ دين الإسلام الذي ارتضاه الله، وختم به الأديان؛ فقام النبي ﷺ يدعو إلىٰ سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فاستجاب له من النساء خديجة، ومن الرجال أبو بكر الصديق، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، ثم توالىٰ دخول الناس في دين الله، واشتد عليه أذىٰ المشركين، وأخرجوه من مكة، وآذوا أصحابه أشد الأذىٰ، فهاجر إلىٰ المدينة، وتتابع عليه نزول الوحي، واستمر في دعوته، وجهاده، وفتوحاته، حتىٰ عاد إلىٰ مكة ظافرًا فاتحًا.

وبعد ذلك أكمل الله له الدين، وأقر عينه بعز الإسلام وظهور المسلمين، ثم توفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة، أربعون منها قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولًا.

---

(١) البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (٢٥٢ ـ ١٦٠).

(٢) البخاري (٤٩٥٤)، مسلم (٢٥٥ ـ ١٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وختم الله به الرسالات السماوية، وأوجب طاعته علىٰ الجن والإنس؛ فمن أطاعه سعد في الدنيا، ودخل الجنة في الآخرة، ومن عصاه شقي في الدنيا، ودخل النار في الآخرة[١].

ثانيًا: المهمات التي جاء من أجلها سيدنا محمد ﷺ[٢]:

المهمة الأولىٰ: إصلاح الأوضاع العالمية الفاسدة التي كانت قبل مبعثه.

المهمة الثانية: جمع رسالات السماء في دائرة واحدة متماسكة.

المهمة الثالثة: وفاء عهد الله لفرع إسماعيل.

المهمة الرابعة: دعوة أهل الكتاب من الضلال إلىٰ الإيمان.

المهمة الخامسة: تتميم مكارم الأخلاق.

المهمة الأولى: إصلاح العالم:

لقد طغت الوثنية علىٰ التوحيد في كل مكان حتىٰ صارت كأنها هي الأصل في الأديان؛ فأكثر أهل بلاد الفرس والصين من ديار النيران التي كانوا يعبدونها ويقدمون لها أغلىٰ ما لديهم من النفس والنفيس.

وانتشرت عبادة الأجرام السماوية في بلاد اليونان والرومان ومستعمراتها واستأثر إمبراطور الروم بعبادة الشمس وترك للملأ من قومه عبادة الكواكب الأخرىٰ.

وتفنن العرب في عبادة الأصنام والأوثان ونصبوا تماثيل الصالحين من الأسلاف وعبدوها في الحضر ونقلوا معهم أحجار مكة ليطوفوا حولها في السفر

---

(١) «تعريف غير المسلمين بالإسلام» باب نبذة عن نسبه وحياته.

(٢) انظر: «تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم» (ص ١٣٥ – ١٤٣) بتصرف وزيادات يسيرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما يطوفون بالكعبة في الحضر.

وأخلد أحبار اليهود إلىٰ الأرض وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات واقتنوا زهرات الحياة الدنيا وزخارفها وآثروا الذهب والفضة والجواهر ونسوا حظًّا مما ذكروا به في التوراة.

وانقطع بعض النصارىٰ إلىٰ الرهبنة التي ابتدعوها ولم تكتب عليهم فما رعوها حق رعايتها.

ونصب آخرون منهم تمثال المسيح وأمه في الكنائس وعبدوها من دون الله الواحد القهار.

وهكذا عم الفساد بين العباد في سائر البلاد وصار الظلم جائزًا في البر والبحر، وكان القوي يشبع شهوته في الاستبداد بالرأي، وأحل الملوك استعباد الرعايا وكان الغني يقضي مآربه من استغلال الحرث والنسل واستفزاز الفقير، لا وازع ولا رادع ولا شرط ولا قيد ولا شريعة ولا قانون يحمي المظلوم.

هكذا كان العالم كله قبل أن يبعث الله محمدًا ﷺ رسولًا لينقذ العالم من هذه الموبقات وليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم.

المهمة الثانية: جمع رسالات السماء في دائرة واحدة:

كان الله يبعث لكل أمة رسولًا مناسبًا للبيئة، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم:٤]. وذلك تمهيدًا لوحدة الإنسانية.

ولما استعد العالم لفهم الوحدة الإنسانية ونضج العقل البشري وبلغت الحضارة أوجها واستعدت الدنيا كلها أن تصير بلدًا واحدًا، بعث الله محمدًا ﷺ إلىٰ العالم ويدعو أصحاب الأديان السماوية إلىٰ دين الحق وهو دين الإسلام قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة] ويقول تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [المائدة: ٦٨].

فدعا النبي محمد ﷺ الناس جميعًا إلىٰ عبادة الله وحده، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

ودعا جميع ملوك الأرض إلىٰ أن الملك كله لله الواحد القهار فدعا ملك الروم والفرس والحبشة ومصر وسائر ملوك العرب إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وأعلمهم أن الله تعالىٰ هو مالك الأرض والسماوات وما فيهما وما بينهما وأن بيده ملكوت كل شيء.

وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء كما في عدة آيات كثيرة يقول الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران].

فجاءت رسالة النبي محمد ﷺ شاملةً لسائر الرسالات السابقة، وكان القرآن الذي جاء به مصدقًا لما بين يديه ومهيمنًا عليه لا يوجد في كتب الأديان السماوية كتاب استوعب أخبار الرسل والأنبياء كما فعل القرآن، وقد اهتم بأخبارهم بما عُرف بقصص الأنبياء.

وقد أخبر الله تعالىٰ أنه بعث في كل أمة رسولًا: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

كل ذلك ربط لحلقات الأنبياء جملة في سلسلة واحدة، وقال بعد إكمال هذه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرسالة: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣].

المهمة الثالثة: وفاء عهد الله لفرع إسماعيل:

العرب أبناء إسماعيل إخوة العبرانيين أبناء إسرائيل (يعقوب بن اسحاق) وفي العهد القديم من التوراة المبدلة بقي الكلام علىٰ أن الله تعالىٰ وعد لإسماعيل وإسحاق معًا حيث قال في سفر التكوين:

وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك، تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًّا لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمِّره وأكثِّره كثيرًا جدًّا اثني عشر رئيسًا وأجعله لأمةٍ كبيرةٍ.

لقد أنجز الله وعده لنسل إسحاق إذ جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكًا وآتاهم ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة]. كما صرح به القرآن.

أما وعد الله لإسماعيل بأنه يباركه ويثمره ويكثره ويجعله أمة كثيرة فلم يتم إلا بعد ظهور النبي محمد ﷺ.

لقد سكن إسماعيل في برية فاران وهي أرض الحجاز وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.

وكان إسماعيل وأبناؤه يعيشون هناك في شبه انعزال عن العالم وكان اليهود يسمونهم أميين.

وقد مكثوا نحو ألفي عام ولم يبعث الله فيهم نبيًّا واحدًا علىٰ حين أن الأنبياء في بني إسرائيل بلغوا ألوفًا كما جاء في إحدىٰ الروايات المنسوبة إلىٰ سيدنا محمد ﷺ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة].

وقال أيضًا ﷻ: ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يس:١ -٦].

ولقد أصلح النبي ﷺ حالة العرب ورفع من شأنهم ووحد صفوفهم وجمع كلمتهم وأظهر دولتهم حتىٰ لحقوا بالسابقين من بني إسرائيل وفاقوهم.

المهمة الرابعة: رد أهل الكتاب من الضلال إلى الهداية:

لقد قرر القرآن الكريم أن الله تعالىٰ أنزل علىٰ النبي موسىٰ التوراة فيها هدىٰ ونور، وأنزل علىٰ النبي عيسىٰ الإنجيل فيه هدىٰ ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، ثم أنزل القرآن الكريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمنًا عليهما كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٤٨].

وقرر القرآن الكريم أن اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

ولقد نهىٰ القرآن عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦] وفي قوله: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ ﴾ نهي عن مبادرتهم بالجدال في نصوص وطقوس دينهم، وفي قوله: ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ استثناء يجيز الرد عليهم إذا بدءونا بالجدال فيكون الرد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليهم بالتي هي أحسن حتىٰ لا نتعرض لنبيهم ولا لكتابهم وفي هذا المعنىٰ حديث «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»(١).

واليهود هم أول من بدءوا النبي محمدًا ﷺ بالجدال وذلك لما هاجر إلىٰ المدينة المنورة، وكان مأمورًا باستقبال بيت المقدس في صلاته بمكة ونحو ستة عشر شهرًا بالمدينة، فكان اليهود يقولون: كما تبع قبلتنا يوشك أن يتبع ملتنا، فجعل النبي ينتظر أمر ربه في توجيهه إلىٰ قبلة معينة؛ لهذا قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤].

فتحول النبي ﷺ إلىٰ الكعبة فصار اليهود ينكرون النسخ والبدل فرد عليهم القرآن بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[البقرة].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة].

ومن عنتهم وجدالهم أنهم قالوا: لو جئتنا بمثل المعجزات التي جاء بها موسىٰ لآمنَّا فرد الله عليهم بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

(١) البخاري في (٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن تعنتهم أنهم قالوا: نحن شعب الله المختار عند الله في الدنيا والآخرة. فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الجمعة].

ويقول تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة].

أما النصارىٰ فقد جادلوا النبي محمدًا ﷺ علىٰ ألوهية عيسىٰ أو علىٰ كونه ابن الله أو ثالث ثلاثة وكان يجادلهم بالوحي كما في القرآن: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المائدة]. وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران].

وَرَدَّ القرآن علىٰ النصارىٰ في مسألة صلب المسيح بقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء].

المهمة الخامسة: تتميم مكارم الأخلاق:

من المهمات التي بعث الله بها نبيه محمدًا ﷺ تكميل مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب التي أدبه الله بها، قال الله تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ﷻ عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

وقد سئلت السيدة عائشة عن خُلُقِ النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»(٢).

وقد قال أبو ذر لأخيه لما بلغه مبعث النبي ﷺ: اركب إلىٰ هذا الوادي فاسمع من قوله؛ فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق(٣).

وقد اهتم القرآن بآداب المعاشرة مع الفرد والجماعة والدولة ورجالها وأنزل فيها آيات في سورة النور والحجرات ومختلف السور، كل ذلك تكميل وتتميم لمكارم الأخلاق التي جاء بها النبي محمد ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ يحض الأمة علىٰ أن تتحلىٰ بحسن الخلق؛ فقال ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي المِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ الخُلُقُ الْحَسَنُ**»(٥).

وقال: «**أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ خُلُقٌ حَسَنٌ، إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ الْبَذِيءَ**»(٦).

وسئل النبي ﷺ: يا رسول الله، ما خير ما أُعطي الإنسان؟ قال: «**حُسْنُ الخُلُقِ**»(٧).

---

(١) أحمد (٦/ ١٦٣) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨١١).

(٢) «المستدرك» (٢/ ٦٧٠) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٣) البخاري (٣٨٦١، ٦٠٣٢)، ومسلم (١٣٣- ٢٤٧٤).

(٤) أحمد (٥/ ١٥٣)، والترمذي (٢١١٥) وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٠٨٣).

(٥) أحمد (٦/ ٤٤٢)، وأبو داود (٤٨٠١)، والترمذي (٢٠٠٣) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧٦).

(٦) الترمذي (٢٠٠٢) وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧٦).

(٧) ابن ماجه (٣٤٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٢٢٣/ ٢٩١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثًا: جوانب من رحمته وتسامحه وعظمته في دعوته ﷺ:

قد كان ﷺ أحسن الناس خلقًا، فقد اجتمع فيه من أوصاف المدح والثناء ما تفرق في غيره، فقد صانه الله -سبحانه- وحفظه من أدنىٰ وصف يعاب صاحبه، كل ذلك حصل له من ربه فضلًا ومنّةً.

نشأ ﷺ من أول أمره إلىٰ آخره، في كل لحظة من لحظاته متحليًا بكل خلقٍ كريمٍ، مبتعدًا عن كل وصفٍ ذميم، فهو أعلم الناس وأنصحهم وأفصحهم لسانًا وأقواهم بيانًا وأكثرهم حياءً، يُضرب به المثل في الأمانة والصدق والعفاف، أدَّبه الله فأحسن تأديبه، فكان أرجح الناس عقلًا، وأكثرهم أدبًا، وأوفرهم حلمًا، وأكملهم قوة وشجاعة، وأصدقهم حديثًا، وأوسعهم رحمةً وشفقةً، وأكرمهم نفسًا، وأعلاهم منزلةً.

وبالجملة: فكل خُلُقٍ محمود يليق بالإنسان فله ﷺ منه القسط الأكبر والحظ الأوفر وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه، وأبعدهم عنه، شهد له بذلك العدو والصديق[1]. وفيما يلي أُورِد بعض الشهادات -التي شهد له بها الموالون والمعادون- الدالة دلالةً بينةً علىٰ تمسكه بالأخلاق الحسنة طوال حياته وعلىٰ عظمته ﷺ:

١ - **شهادة كفار قريش عند بنائهم الكعبة**: ولما قامت قريش ببناء الكعبة قبل بعثة محمد ﷺ تنازعوا في رفع الحجر الأسود إلىٰ مكانه، واتفقوا علىٰ تحكيم أول من يدخل عليهم الباب، فكان أول داخل رسول الله ﷺ ففرحوا جميعًا، وقالوا: جاء الأمين، جاء محمد. وقد كانوا يلقبونه بلقب الأمين؛ لما يعلمونه من أمانته ﷺ[2].

---

(١) «من أخلاق الرسول الكريم» لعبد المحسن بن حمد العباد البدر.

(٢) «السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ٢٧٣، ٤/ ٣٠٣)، و«محمد ﷺ» لكارين أرمسترونج (ص١٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- **شهادة كفار قريش بصدقه** ﷺ: ثبت أنه ﷺ لما نزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[الشعراء]. صعد إلىٰ الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتىٰ اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِير عَلَيْكُم أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَي عَذَابٍ شَدِيد**»(١).

٣- **شهادة الجلندي ملك غسان**: يقول الجلندي -لما بلغه رسولُ رسولِ الله ﷺ يدعوه إلىٰ الإسلام-: (والله لقد دلني علىٰ هذا النبي الأمي؛ أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهىٰ عن شرٍّ إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلِبُ فلا يبطر، ويُغْلَبُ فلا يضجر، ويفي بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي)(٢).

٤- **شهادة خديجة** رضي الله عنها: لما أوحي الله إلىٰ نبيه ﷺ في غار حراء لأول مرّة ورجع إلىٰ خديجة رضي الله عنها أخبرها الخبر وقال: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**». فقالت له رضي الله عنها: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق»(٣).

٥- **شهادة أبي جهل بصدقه** ﷺ: قال أبو جهل للنبي ﷺ: قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم وتَصدق الحديث ولا نكذبك لكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام](٤).

---

(١) البخاري (٤٧٧٠، ٤٩٧١، ٤٩٧٢)، ومسلم (٣٥٥ـ٢٠٨).

(٢) «الشفا» (١/ ٢٤٩)، و«الروض الأنف» (٤/ ٣٩٠).

(٣) البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (٢٥٢ـ١٦٠).

(٤) الحاكم (٢/ ٣٤٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما قال له الأخنس بن شريق: يا أبا الحكم - أبا جهل - أخبرني عن محمد؛ أصادق هو أم كاذب؟ فقال: ويحك! والله إن محمدًا صادق، وما كذب محمد قطُّ؛ ولكن إذا ذهبت بنو قصي بالسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟

وقال: «تنازعنا نحن وبنو مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتىٰ إذا تجاثينا علىٰ الركب، وكنا كفرسي رهانٍ قالوا: منا نبي ينزل عليه الوحي من السماء، فمتىٰ ندرك هذه، والله لا نؤمن به ولا نصدقه»[(١)].

٦- **شهادة أمية بن خلف عندما قال له سعد بن معاذ:** إني سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حدَّث، وقد تحقق ذلك يوم بدر[(٢)].

٧- **شهادة النضر بن الحارث في قوله:** «يا معشر قريش إنه -والله- قد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، ولقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم عقلًا، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتىٰ إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر! لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر! لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون! لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، ثم قال لهم: يا معشر قريش، انظروا في شأنكم، فإنه -والله- لقد نزل بكم أمر عظيم»[(٣)].

فهذا كلام النضر بن الحارث الذي كان شيطانًا من شياطين قريش، وممن كان

---

(١) «تفسير ابن جرير» (١١/ ٣٣٣)، «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٢).

(٢) البخاري (٣٦٣٢).

(٣) «الروض الأنف» (٢/ ٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة.

٨- شهادة أبي سفيان بين يدي هرقل ملك الروم بصدق رسول الله ﷺ ووفائه:

روىٰ أبو سفيان أن هرقل أرسل إليه في ركبٍ من قريش، ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا. فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من مَلِك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو فاعل فيها -قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة- قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منّا وننال منه، قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب؟ فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله قط؟ فذكرت أنْ لا، قلت: فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتسي بقولٍ قيل قبله، وسألتك: هل كان في آبائه من مَلِك؟ فذكرت أنْ لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أنْ لا، قلت: لم يكن ليذر الكذب علىٰ الناس ويكذب علىٰ الله، وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتىٰ يتم، وسألتك: أيرتدّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بماذا يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنّه خارج ولم أكن أظنّ أنّه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه[(١)].

في هذه القصة آيات بينات، ودلالات واضحات علىٰ نبوته ﷺ، وأنه ﷺ صادق فيما جاء به، ومحل الشاهد من القصة شهادة أبي سفيان بن حرب -وهو من أشد أعدائه في ذلك الوقت- علىٰ اتصاف الرسول ﷺ قبل أن يبعثه الله بالصدق وبالوفاء، وأنه لا يغدر، وأنهم لا يتهمونه بالكذب.

٩- شهادة السائب المخزومي له ﷺ بحسن المعاملة والرفق قبل النبوة: قد كان السائب المخزومي شريك النبي ﷺ قبل البعثة فجاء يوم الفتح -فتح مكة- فقال: «مرحبًا بأخي وشريكي لا تداري ولا تماري».

وفي لفظ أنه قال للنبي ﷺ: «كنت شريكي في الجاهلية فكنت خير شريك لا تداري ولا تماري»[(٢)].

١٠ - شهادة عبد الله بن سلام رضي الله عنه بصدقه ﷺ: قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: «لما قدم النبي ﷺ المدينة كنت ممن انجفل، فلما تبيَّنْتُ وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فسمعته يقول: «**أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا**

(١) البخاري (٢٩٤١).

(٢) أبو داود (٤٨٣٨) وابن ماجه (٢٢٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَام، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَام»[(١)].

١١ - **شهادة الإنجليزي بوسويرث سميث إذ يقول:** بمصادفة فريدة كل التفرد في التاريخ يعتبر محمد ﷺ مؤسسًا لأمة من الأمم ومؤسسًا لإمبراطورية من أكبر الإمبراطوريات ومؤسسًا لدين من أعظم الأديان.

ويقول أيضًا: كان محمد ﷺ يجمع في شخصيته بين إمكانات بابا المسيحية وإمكانات قيصر الإمبراطورية الرومانية ولكن لم يكن له غرور وغموض وصلف البابا، ولم يكن لديه جيوش وأسلحة القيصر، ولم يكن له جيش متأهب للقتال، ولم يكن له حرس إمبراطوري ممتاز التسليح، ولم يكن يقيم في قصر من القصور المنيعة الضخمة الفخمة البناء، ولم يكن له مخصصات مالية ثابتة يتقاضاها بموجب منصبه الديني أو الدنيوي ولو كان لأي إنسان الحق في أن يقول: إنه كان يمارس الحكم بموجب حق أو أمر إلهي، فلقد كان ذلكم هو محمد ﷺ؛ لأنه كان يمتلك كل قدرات ممارسة الحكم دون أن يكون قد ورث أدوات ووسائل الحكم كما جرى بذلك شأن الملوك والقياصرة والحكام في الممالك والإمبراطوريات[(٢)].

١٢ - **يقول لا مارتين:** فيلسوفٌ خطيبٌ رسولٌ من رسل الله، مشرِّعٌ محاربٌ منتصر الفكر ومساندٌ للعقائد المعقولة، هادم للأصنام بمختلف صورها، مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية أرضية وإمبراطورية روحية واحدة، ذلكم هو محمد ﷺ، وبكل المقاييس التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يجوز لنا أن نسأل سؤالًا له كل الوجاهة وكل الدواعي: هل يوجد رجل أعظم من محمد ﷺ؟[(٣)].

---

(١) أحمد (٥/ ٤٥١)، وابن ماجه (١٣٣٤)، والترمذي (١٨٥٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٦٩).

(٢) كتاب «محمد ﷺ والديانة المحمدية» (١٩٤٦).

(٣) كتاب «تاريخ الأتراك» طبعة باريس (١٨٥٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٣- **يقول البروفيسور الهندي ديوان شاند شارما:** كان محمد ﷺ هو روح الرحمة ولقد ظل تأثيره باقيًا خالدًا علىٰ مر الزمان لم ينسه أحد من الناس الذين عاشوا حوله ولم ينسه الناس الذين عاشوا بعده[١].

١٤ - **يقول كارليل:** أحب محمدًا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن الصحراء مستقلَّ الرأي لا يعتمد إلا علىٰ نفسه، ولا يدعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبرًا ولا ذليلًا، فهو قائم في ثوبه المرقع كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم يرشدهم إلىٰ ما يجب عليهم لهذه الحياة والحياة الآخرة.

وما كان محمد بعاشق قط ولا شَابَ قولُه شائبةُ لعبٍ ولهوٍ، فكانت المسائل عنده مسألة فناء وبقاء، أما التلاعب بالأقوال والعبث بالحقائق فما كان من عادته قط[٢].

١٥- **يقول برنارد شو:** لقد عكفت علىٰ دراسة كل تفاصيل سيرته؛ إنه الرجل المنقذ العظيم، وهو من وجهة نظري غير معاد وغير معارض للمسيح عليه السلام؛ ومن اللازم أن نُطْلِقَ عليه اسم (منقذ البشرية) وإني لأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولىٰ منفردًا حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق في حل جميع مشاكله ولتوصل إلىٰ السلام والسعادة التي يفتقر العالم إليهما كثيرًا[٣].

١٦- **يقول ألفريد مارتين:** والحقّ أنّ محمدًا بما قام به من الإصلاحات والتشريعات، وما نشَره من المدنية الإسلامية والحضارة الرائعة والنظم الاجتماعية، قد أدّىٰ أكبر خدمة إنسانية للعالم كله لا لجزيرة العرب وحدها[٤].

---

(١) كتاب «أنبياء من الشرق» -كلكتا (١٩٣٥).

(٢) «الأبطال وعبادة البطولة» المحاضرة الثانية: البطل في صورة رسول.

(٣) كتاب «الإسلام الصحيح» المجلد الأول رقم (٨/ ١٩٣٦).

(٤) كتاب «أكبر زعماء الدين في الشرق».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٧- **تقول إيفلين كوبولد**: مع أن محمدًا ﷺ كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر في الألقاب ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل علىٰ حاله مكتفيًا بأنه رسول الله وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريمًا بارًّا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلًا لا يكاد يكفيه(١).

١٨- **يقول المستشرق الكندي الدكتور زويمر**: إن محمدًا كان -ولا شك- من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضًا بأنه كان مصلحًا قديرًا وبليغًا فصيحًا وجريئًا مغوارًا، ومفكرًا عظيمًا، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء(٢).

١٩- **يقول سنرستن الآسوجي أستاذ اللغات السامية**: إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصرًّا علىٰ مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتىٰ انتهىٰ به المطاف إلىٰ النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ(٣).

٢٠- **يقول المستشرق الأمريكي سنكس**: ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة، وبإرجاعها إلىٰ الاعتقاد بإلهٍ واحدٍ، وبحياة بعد هذه الحياة(٤).

---

(١) كتاب «البحث عن الله» نقلًا من كتاب «قالوا عن الإسلام».

(٢) كتاب «الشرق وعاداته» نقلًا من موسوعة «الدفاع عن الرسول» لعلي بن نايف الشحود، الجزء الخامس باب: قالوا عن محمد ﷺ.

(٣) كتاب «تاريخ حياة محمد» نقلًا من موسوعة «الدفاع عن الرسول» لعلي بن نايف الشحود، الجزء الخامس باب: قالوا عن محمد ﷺ.

(٤) كتاب «ديانة العرب» نقلًا من موسوعة «الدفاع عن الرسول» لعلي بن نايف الشحود، الجزء الخامس باب: قالوا عن محمد ﷺ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢١ - **يقول إدوارد جيبون وسيمون أوكلي**: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هي عقيدة الإسلام البسيطة والثابتة. إن التصور الفكري للإله (في الإسلام) لم ينحدر أبدًا إلىٰ وثن مرئي أو منظور، ولم يتجاوز توقير المسلمين للرسول أبدًا حد اعتباره بشرًا، وقيدت أفكاره النابضة بالحياة شعور الصحابة بالامتنان والعرفان تجاهه، داخل حدود العقل والدين(١).

٢٢- **يقول جون وليام دريبر**: ولد في مكة بجزيرة العرب عام ٥٦٩ بعد المسيح، بعد أربع سنوات من موت جوستنيان الأول(٢)، الرجل الذي كان له من دون جميع الرجال، أعظم تأثير علىٰ الجنس البشري.. وهو محمد(٣).

٢٣ - **يقول ر. ف. بودلي**: إنني أشك أن أي إنسان لا يتغير لكي يلائم ويوافق التغيرات الكثيرة جدًّا في ظروفه الخارجية، كما لم يتغير محمد(٤).

٢٤- **قال واشنجتون أرفنج**: كانت جميع تصرفات الرسول تدل علىٰ رحمة عظيمة، وقال: كان الرسول حسن الطباع حليمًا رحيمًا صبورًا، فقد ذكر أنس أنه خدم الرسول مدةً طويلةً منذ أن كان في الثامنة من عمره فلم يوجه الرسول إليه إهانةً برغم إتلاف أنس لكثير من الأشياء(٥).

---

(١) كتاب «تاريخ الإمبراطورية العربية الإسلامية» طبعة لندن (١٨٧٠) (ص ٥٤).

(٢) جوستنيان أو يوستنيانوس الأول إمبراطور بيزنطي (٥٢٧-٥٦٥) بعد المسيح جمع الشرائع الرومانية ودونها.

(٣) كتاب «تاريخ التطور الفكري الأوروبي». طبعة لندن (١٨٧٥) المجلد الأول، (ص ٢٢٩ و٢٣٠).

(٤) كتاب «تاريخ حياة محمد» (ص٩).

(٥) كتاب «حياة محمد» لواشنجتون أرفنج الفصل التاسع والثلاثون شخصية محمد الإنسان والرسول (ص٢٩٤، ٢٩٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ نماذج من رحمته:

١- رحمته بأمته: قال النبي ﷺ: «**وَلِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»(١).

وحين أغلظ له أهل مكة في نقاشهم وتحدوه بقولهم: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنفال]. لم يتعجل ربه في أن ينزل عليهم ما سألوه من عذاب بل كان موقفه ما عبر عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا قول الله تعالىٰ في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[إبراهيم]. وقول عيسىٰ عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة].

وقال: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**» وبكىٰ، فقال الله عز وجل: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ -وربك أعلم- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**» فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالىٰ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**»(٢).

٢- **رحمته بأهل الطائف عندما جاءه جبريل وملك الجبال:** قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالَيلِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أنا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي،**

(١) البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣٣٨، ٣٣٩ـ ١٩٩) واللفظ له.
(٢) مسلم (٣٤٦ـ ٢٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَنَظَرَتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ -فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلِيهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ».

فقال له رسول الله ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا»(١).

٣ - كان رحيمًا رفيقًا كما قال الله تعالىٰ مخاطبًا إياه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران].

فلم يحصل لأحد من البشر ما حصل لرسول الله ﷺ من الاتصاف بالرحمة والرفق، لا يقاربه في ذلك أحد ولا يدانيه.

وورد أن أعرابيًّا بال في طائفة المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا فيه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سِجْلًا مِنْ مَاءٍ؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(٢).

وشكىٰ آخر إلىٰ النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضبًا في موعظةٍ منه يومئذ. فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّىٰ بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الكَبِيرَ وَالمَرِيضَ وَذَا الحَاجَةِ»(٣).

وقد قال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ

(١) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١١١ ـ ١٧٩٥).
(٢) البخاري (٢٢٠، ٦١٢٨).
(٣) البخاري (٧٠٤، ٦١١٠، ٧١٥٩)، ومسلم (١٨٢ ـ ٤٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمِّهِ»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»[(٢)].

قالت عائشة رضي الله عنها: «إن كان النبي ﷺ لَيَدَعُ العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم، ولما واصل ﷺ في صيامه وعلم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك واصلوا معه، فنهاهم عن الوصال؛ إشفاقًا عليهم، قالوا: فإنك تواصل، قال: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ»[(٣)].

وكان ﷺ إذا بلغه عن أحد من أصحابه ما يحتاج إلىٰ تَنْبِيه عليه قال في خطبته: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ: كَذَا»[(٤)].

وما أشبه ذلك، وذلك؛ ليعدل عنه من صدر منه، وليحذر الوقوع فيه من لم يباشره.

رابعًا: عفوه وحلمه ﷺ:

وكما كان النبي ﷺ غايةً في الرحمة والشفقة، فهو غاية في العفو والحلم، والصفح والصبر والتحمل.

وسيرته العطرة حافلة بالوقائع الدالة علىٰ ذلك. قال جابر بن عبد الله: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة وهو في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه فقال: «إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ

(١) البخاري (٧٠٧، ٨٦٨).
(٢) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٤٢ - ٢٥٢).
(٣) البخاري (١٩٢٢، ١٩٦٣، ١٩٦٤، ١٩٦٧)، ومسلم (٥٥ ـ ١١٠٢، ٦١ ـ ١١٠٥).
(٤) أبو داود (٤٧٨٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَأْسِي مُخْتَرِطٌ سَيْفِي صَلْتًا، قَالَ: مَا يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: الله، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا» قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ»[(١)]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «دخل رهط من اليهود علىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ؛ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**».

فقلت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوه؟ قال رسول الله ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُم**»[(٢)].

وقالت أيضًا عائشة رضي الله عنها: «ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»[(٣)].

ومن عفوه عليه الصلاة والسلام في يوم أحد الذي قتل فيه من أصحابه سبعون وجُرح آخرون وجرح ﷺ وكسرت رباعيته وشج وجهه وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونُ**»[(٤)].

ثم أمكنه الله منهم فعاد فاتحًا مكة ومعه أكثر من عشرة آلاف معهم السيوف مسلطة علىٰ رءوس قريش، لكنه ﷺ كان قد عَهد إلىٰ أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سماهم؛ وذلك لشدة إيذائهم له ﷺ وللمسلمين، ثم طُلِبَ منه العفو عن بعضهم فعفا عنهم وقتل الآخرين.

وتقول عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا

---

(١) البخاري (٤١٣٥، ٤١٣٩).

(٢) البخاري (٦٠٢٤، ٦٢٥٦، ٦٣٩٥، ٦٩٢٧)، ومسلم (١٠ ـ ٢١٦٥، ٧٧ ـ ٢٥٩٣).

(٣) البخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦)، ومسلم (٧٧، ٧٨ ـ ٢٣٢٧).

(٤) البخاري (٣٤٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالىٰ فينتقم لله ﷻ[(١)].

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)].

❁ عفوه عن حاطب بن أبي بلتعة لما أراد أنْ يفشي سر فتح مكة:

لقد أرسل حاطب بن أبي بلتعة خطابًا إلىٰ أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وأرسله مع امرأة فأخبر الله نبيه ﷺ فأمر عليًّا والزبير والمقداد بن الأسود ليلحقوا بالمرأة ويأخذوا منها الخطاب فلما جاءوا به إلىٰ رسول الله ﷺ قال لحاطب: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟**» قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ إني كنت امرأ ملصقًا من قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم**»[(٣)].

❁ عفوه ﷺ عن اليهودية التي وضعت له السم في الشاة:

وهذه يهودية تدعو النبي ﷺ إلىٰ طعام مسموم، فعن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلىٰ رسول الله ﷺ فسألها عن

---

(١) مسلم (٧٩ـ٢٣٢٨).

(٢) مسلم (٩٠ـ٢٦٠١).

(٣) البخاري (٣٠٠٧، ٤٢٧٤)، ومسلم (١٦١ـ٢٤٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك، فقالت: أردت لأقتلك. قال: «مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ» قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: «لا» قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ[(١)].

❁ **عفوه عن الأعرابي الذي جذبه بشدة:**

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتىٰ نظرت إلىٰ صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء[(٢)].

خامسًا: نصحه عليه الصلاة والسلام وحكمته في دعوته:

قبل أن نبيِّن نماذج من حكمته ونصحه في دعوته ﷺ نبين منهجه في الدعوة:

أولًا: الدعوة بمكارم الأخلاق.

ثانيًا: الدعوة علىٰ بصيرة.

ثالثًا: الدعوة بالحكمة.

رابعًا: الدعوة بالموعظة الحسنة.

خامسًا: الدعوة بالجدال بالتي هي أحسن.

أما الدعوة بمكارم الأخلاق: فقوامها من القرآن الكريم ما خوطب به النبي ﷺ من قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٤٥ ـ ٢١٩٠).

(٢) البخاري (٣١٤٩، ٦٠٨٨)، ومسلم (١٢٨ ـ ١٠٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما الدعوة علىٰ بصيرة: فعمادها من القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف].

أما الدعوة بالحكمة: فنصها الموجه إلىٰ النبي ﷺ في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل].

ونستنبط من هذه الآية وحدها ثلاثة مناهج وهي: الدعوة بالحكمة، والدعوة بالموعظة الحسنة، والدعوة بالجدال بالتي هي أحسن، أما الدعوة بالحكمة فما من نبي إلا وقد أوتي الحكمة المناسبة لبيئته ورسالته، أما الحكمة المناسبة لبيئة سيدنا محمد ﷺ فهي واضحة في سننه وأحاديثه، لهذا فسر العلماء الحكمة في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب:٣٤]. بالسنة الفعلية والقولية فالأحكام أو الآداب الشرعية التي جاءت في القرآن والحديث تسمىٰ حكمة، من ذلك قوله تعالىٰ بعد ذكر الأوامر والنواهي الشرعية في سورة الإسراء: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الإسراء:٣٩].

والأمثال التي جاءت في القرآن والسنة تسمىٰ حكمة، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم].

ومثل ما جاء في السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا الْمَاءَ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجوا جَمِيعًا»[(١)].

أما الدعوة بالموعظة الحسنة فهي: ما يكون علىٰ طريق القصص في قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف].

ويلحق بها ما يكون من القصص المؤثرة في النفوس كقصص الصحابة والتابعين والصالحين الذين يُقتدىٰ بهم في صلاحهم وتقواهم[(٢)].

وقد ترك ﷺ الناس علىٰ محجة بيضاء واضحة كفيلة لمن سلكها بعز الدنيا وسعادة الآخرة، جاء ذلك نتيجة لاتصاف الرسول ﷺ بكمال النصح، وقوة البيان، ونهاية الأمانة، فما من شيء يقرب إلىٰ الله إلا دل عليه أمته ورغبها فيه، كما حذرها مما يخالف ذلك، فلم يُقَصِّر ﷺ في إبلاغ شرع الله، ولم يقصر في بيانه عند الإبلاغ.

وقد قيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: «قد علمكم نبيكم كل شيء حتىٰ الخراءة» فقال: «أجل؛ لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»[(٣)]. وقد أعلن النبي ﷺ قيامه بواجب التبليغ في أعظم جمع لقيه، وذلك في حجة الوداع، وأشهد الناس علىٰ أنفسهم، فشهدوا الشهادة الحق بإبلاغه رسالة ربه، وتأديته ما أمر به علىٰ أكمل وجه، ونصحه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ وهو يخطب الناس يوم عرفة: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابَ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**».

قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت.

فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلىٰ السماء وينكتها إلىٰ الناس: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ**

---

(١) البخاري (٢٤٩٣).

(٢) «تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم» (ص١٤٥ -١٤٧).

(٣) مسلم (٥٧ـ٢٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اشْهَدْ» ثلاث مرات[(١)].

ولم يَدَعِ النبي ﷺ وسيلة فيها إيضاح وإفهام للناس وحفز للهمم إلىٰ القيام بطاعة الله، والبعد عن معصيته إلا سلكها في سبيل دعوته إلىٰ الله وتحذير أمته من النكوب عن الشرع القويم الذي جاء به ﷺ فكان يضرب الأمثلة التي تجعل الشيء المُبين في صورة المحسوس المشاهد، ومن ذلك قوله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبَ وَالفَرَاشَ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذبهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفْلتُونَ مِنْ يَدِي**»[(٢)] وكان النبي ﷺ إذا سئل عن شيء وكانت الأهمية لغير المسئول عنه لفت نظر السائل برفقه وحكمته ﷺ إلىٰ ذلك الأهم، ومن ذلك أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متىٰ الساعة؟ قال: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»، قال: ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، فقال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[(٣)].

ويقول معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: « صليت مع رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم فقلت: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم علىٰ أفخاذهم، فَلَمَّا رأيتهم يصمتونني لكني سكت. فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي - مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»[(٤)].

---

(١) مسلم (١٤٧ ـ ١٢١٨).

(٢) مسلم (١٩ ـ ٢٢٨٥).

(٣) البخاري (٣٦٨٨، ٦١٧١، ٧١٥٢)، ومسلم (١٦١، ١٦٢، ١٦٤ ـ (٢٦٣٩).

(٤) مسلم (٣٣ـ ٥٣٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الباب الثاني

علاقة رسالة سيدنا محمد ﷺ بالرسالات السابقة منذ آدم عليه السلام

❁ الله يأخذ الميثاق من الأنبياء لنصرة النبي محمد ﷺ:

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

هذا إخبار منه تعالىٰ أنه أخذ عهد النبيين وميثاقهم كلهم بسبب ما أعطاهم ومَنَّ به عليهم من الكتاب والحكمة المقتضي للقيام التام بحق الله وتوفيته أنه إن جاءهم رسول مصدق لما معهم بما بعثوا به من التوحيد والحق والقسط والأصول التي اتفقت عليها الشرائع أنهم يؤمنون به وينصرونه، فأقروا علىٰ ذلك واعترفوا والتزموا وأشهدهم وشهد عليهم وتوعد من خالف هذا الميثاق، وهذا أمر عام بين الأنبياء أن جميعهم طريقهم واحد وأن دعوة كل واحد منهم قد اتفقوا وتعاقدوا عليها، وعموم ذلك أنه أخذ علىٰ جميعهم الميثاق بالإيمان والنصرة لمحمد ﷺ فمن ادعىٰ أنه من أتباعهم فهذا دينهم الذي أخذه الله عليهم وأقروا به واعترفوا، فمن تولىٰ عن اتباع محمد -ممن يزعم أنه من أتباعهم- فإنه فاسق خارج عن طاعة الله مكذب للرسول الذي يزعم أنه من أتباعه مخالف لطريقه، وفي هذا إقامة الحجة والبرهان علىٰ كل من لم يؤمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب والأديان وأنه لا يمكنهم الإيمان برسلهم الذين يزعمون أنهم أتباعهم حتىٰ يؤمنوا بإمامهم وخاتمهم ﷺ[1].

---

(١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

... وهذا غاية التكريم من الله ﷻ لنبيه ﷺ بأخذ الميثاق علىٰ الأنبياء أن يؤمنوا به، وينصروه إن ظهر في زمانهم، وفىٰ ذلك إشارة إلىٰ أنه ﷺ نبي الأنبياء، وفىٰ السنة المطهرة ما يؤكد الآية الكريمة، فعن ميسرة الفجر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: متىٰ كنت نبيًّا؟ قال: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»(١).

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وآدَمُ مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةَ عِيسَىٰ وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ**»(٢).

والشاهد مما سبق أن الله ﷻ اصطفىٰ أنبياءه ورسله بتبليغ دينه وتوحيده، وفضل بعض النبيين علىٰ بعض، فجعل سيدنا محمدًا ﷺ إمامهم، وأخذ منهم الميثاق بالإيمان بنبوته ونصرته، كما قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما(٣).

❁ الرسول وأمته شهداء للأنبياء على قومهم:

يقول تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣]. يقول تعالىٰ: إنما حَوّلناكم إلىٰ قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شُهَداء عليهم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسطُ العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها. وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه؛ أي: أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطىٰ، التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر،

---

(١) أحمد (٤/ ٦٦)، والترمذي (٣٦٠٩)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦٥) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الذهبي ووافقه الألباني انظر: «الصحيحة» (١٨٥٦).

(٢) أحمد (٤/ ١٢٨)، وابن سعد في «الطبقات»، والحاكم في «المستدرك»(٢/ ٤٥٣)، وصححه الألباني انظر: «الضعيفة» (٢٠٨٥).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خَصَّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨].

قال رسول الله ﷺ: «يُدْعَىٰ نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَة فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَىٰ قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ» قال: فذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة: ١٤٣]، الوسط: العدل، فتدعون، فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم[(١)]. وقال رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَيُدْعَىٰ قَوْمُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ قَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَىٰ بِمُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُقَالُ: وَمَا عِلْمُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيُّنَا ﷺ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا» فذلك قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدلًا ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[(٢)]».

❁ رسالة رسول الإسلام إلى جميع الأنام:

لا شك أن الله ﷻ قد بَعَثَ كثيرًا من الأنبياء في مختلف العصور، وأنزل للبشر أحكامًا علىٰ ألسنة رسله، الذين خُصَّت رسالاتهم ببعض الأمم ولبعض الأزمان؛ لذلك لم تَمسّ الحاجة إلَىٰ حفظها من عوامل التصحيف والتحريف، ولم تتعلق عناية الله بصيانتها من أيدي البِلَىٰ وعبث الدهر؛ فضاعت أصولها المعاصرة

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢) واللفظ له، والبخاري (٤٤٨٧، ٧٣٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٥٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأصحابها أو قريبة العهد منهم، ووُجِدَت بعد ضياعها تراجم دخلها كثير من التغيير والتبديل؛ فبَعُدت التراجم عن أصلها كل البعد واختلفت، وأُلْحِقَ بها وزِيد فيها كثير مما لا أصل له في الصُّحُف المنزَّلة. وإن ضياع تلك الأصول الأولَىٰ دليل واضح علَىٰ أن تلك الرسالات كانت لزمن محدود قد مضَىٰ؛ ولولا ذلك لاقتضت حكمة الله بقاء أصولها.

أما ما بعث الله به خاتم رسله محمدًا؛ فقد تولَّىٰ حِفظه وسيبقَىٰ محفوظًا من كل تحريفٍ أو تصحيفٍ إلىٰ يوم القيامة؛ لأنه آخر رسالات الله، وسيبقَىٰ للبشر ما بقي في الدنيا بشر؛ ولذلك أعلن الله صفة الكمال والتمام لهذه الرسالة ووَعَدَ بحفظها، ولم يُعْلِن مثل ذلك ولم يَعِد به في أي كتاب آخر من كتبه، وأية رسالة من رسالاته، بل علَىٰ العكس من ذلك؛ نجد النص في سِفْر التَّثنية من التوراة (٨: ١٥) علَىٰ أن رسالة موسَىٰ مؤقَّتة، وأن الله باعث غيره بغيرها: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك ـ من إخوتك ـ مثلي، له تسمعون»، وقال (١٨ـ ١٨): «أُقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به»، و(٣٣: ١ ـ ٢): «هذِهِ هي البركة الَّتِي بارك بها عبد الله موسىٰ بني إسرائيل قبل موته؛ فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتىٰ من رَبوات القدس، بيمينه نار شريعة لهم». فهذه الآيات من سِفْر التَّثنية في التوراة تدلّ علَىٰ أن الله يبعث نبيًّا مثل موسَىٰ في يمينه نار شريعة ملتهبة، وأن الله يُلْقِي في فمه كلامًا؛ فيكلم الناس بكل ما يوحيه الله إليه؛ وهذا أوضح دليل علَىٰ أن شريعة موسَىٰ لم تكن آخر الشرائع ولا أدومها إلَىٰ يوم القيامة. وادْرُسوا الأناجيل كذلك؛ فإنكم تجدون في إنجيل يُوحَنّا (١٤ ـ ١٦): «وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليط آخر ليبقَىٰ معكم إلَىٰ الأبد». وفيه (١٦: ١٢ ـ ١٣): «إنّ لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متىٰ جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلَىٰ جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي إنجيل متىٰ (٢١: ٤٣-٤٤): «قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار هو رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطىٰ لأمة تعمل ثمارها. ومن سقط علىٰ هذا الحجر يترضض (تهشم) ومن سقط هو عليه يسحقه (حطمه)» وذلك يوافق قول الرسول ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ فَطَافَ النُّظَارُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بُنْيَانِهِ إِلَّا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ فَكُنْتُ أَنَا سَدَدْتُ مَوْضِعَ اللَّبِنَةِ خُتِمَ بِيَ الْبُنْيَانُ وَخُتِمَ بِيَ الرُّسُلُ**». وفي رواية: «**فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»(١).

فهذه الآيات من الإنجيل دالّة دلالة ليس فيها إبهام علَىٰ أن ما في الإنجيل ليس آخر رِسالات الله، ولم تتم به رسالات الله؛ بل سيأتي بعده نبي آخر تكمُل به رسالة عيسىٰ ابن مريم.

وأن النبي محمد ﷺ آخر لبنة في بناء النبوة، أما الرِّسالة المحمدية؛ فلا تنبئ بنبي آخر يأتي بعدها، ولا بأنها ناقصة ستكمُل بشيء يتلوها. إن الرسالة المحمدية تنادي بأنها كاملة وأنها تامة لا نقص فيها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. كل هذا من الدلائل الساطعة علَىٰ أن رسالة محمد هي الرسالة الخالدة من رب العالمين لجميع العالَمين إلَىٰ يوم الدين. ولذلك تولَّىٰ الله حفظها وصيانتها وعِصمتها؛ فقال ـ عَزَّ مِن قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

والسؤال الآن: هل أتَىٰ نبي آخر غير محمد برسالة عامّة لجميع البشر؟ وهل جاءت من الله رسالة غير الإسلام شملت دعوتها الناس جميعًا؟ إن بني إسرائيل قَصَروا الدنيا علَىٰ أنفسهم؛ فجعلوها محدودة بحدود بلادهم؛ بل زعموا أن إله

(١) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢ ـ ٢٢٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العالمين هو إله أُمّتهم وحدها، وخصوه ـ تعالىٰ ـ بأنفسهم من دون الناس ! لذلك نرَىٰ أنبياء بني إسرائيل وأسفارهم لم تُعَمِّم دعوتها لغيرهم من الأمم، ولا تزال شريعة موسىٰ والدين اليهودي مقصورَين علَىٰ اليهود، لا يتجاوزانهم إلَىٰ غيرهم، وأسفارهم لا تخاطب غيرهم، ولا تدعو لإلههم إلَّا أسباطهم، بل إن عيسىٰ المسيح لم يَرْعَ إلَّا غنم بني إسرائيل الضالة، ولم يبلِّغ رسالته إلَّا في قراهم وأرضهم والمنسوبين إليهم؟ ولم يرغِّب في إعطاء خبز الأولاد للكلاب!

أما الرسالة المحمدية؛ فهي الأولَىٰ والأخيرة من رسالات الله الَّتِي جعلها الله للناس كافة، أحمرهم وأصفرهم، وأبيضهم وأسودهم، عربًا كانوا أو عجمًا، من الصين شرقًا إلَىٰ أقصىٰ الجزائر البريطانية شمالًا، يستوي فيهم التتار والإفرنج؛ ذلك لأن إله رسول الله محمد هو إله جميع الأمم، وهو رب العالمين؛ فهو لأجل ذلك مُرْسَل للإنسانية كلها (رحمة للعالمين)؛ فرسالة الإسلام رسالة تعم جميع البشر؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الفرقان: ١- ٢]؛ فمحمد نذير الدنيا كلها، ورسالته تعم العالم أجمع، وحينما ينفذ حكم الله؛ فلتكن شريعة الإسلام قائمة، ورسالة محمد نافذة. وقد جاء في سورة الأعراف: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف:١٥٨]. وهذه الآية تعلن عموم الرسالة المحمدية إلَىٰ كل مَن يبلغه نداؤها وتصل إليه دعوتها؛ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩].

فثبت من هذِهِ النصوص أن الإسلام وحده هو الَّذِي أعلن عموم دعوته للإنسانية كلها، وأنه هو الدين التام الكامل الجامع للمحاسن، ولن يأتي بعده دين غيره. وكما أن السيرة المحمدية كاملة تامة، وفيها الأسوة لجميع البشر؛ كذلك دين الإسلام الَّذِي جاء به محمد كامل دائم، وفيه صلاح العالم ورشاده.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ الرسالة المحمدية وإتمامها ما كان ناقصًا في الديانات السابقة[1]:

جاءت الرسالة المحمدية وأصلحت ما كان من قبل فاسدًا، ورَدَّت البدع الطارئة، وقمعت المفاسد العظيمة الفاشية الَّتِي شَوَّهَت وجه الإنسانية، وكانت بابًا لكل شرّ وأصلًا لكل فساد، وبذلك سَدَّت في أصول الدين جميع الثلمات الَّتِي تسربت منها المفاسد؛ فكانت سببًا في انحطاط الإنسانية عن مستواها الكريم.

وأول مسألة عُني بها الشرع المحمديّ: كرامة الجنس البشري، ومكانته من سائر المخلوقات، وهي مسألة ترجع إلىٰ أمر التوحيد؛ فالإنسان قبل الإسلام كان يرىٰ نفسه أحطّ منزلة من معظم المخلوقات والموجودات؛ كان يهاب كل ما عظمت جُثّته، ويطأطئ رأسه لكل ما يبدو له أسودَ حالكًا أو أبيضَ لامعًا، ولكل ذي لبن سائغٍ أو لُعابٍ قاتل، وبَلَغَ خوفه من مظاهر الطبيعة ومن المخلوقات الضارّة، ورجاؤه من الأشياء التي يرتقب نفعها، أن صار يعبد الحجارة الصُّمّ، والجبال الشمّ، والبحار الزاخرة، والأنهار الجارية، والأشجار الخضراء، والأمطار الهاطلة، والنيران المُلتهبة، والصحاري المخيفة، والأفاعي السامَّة، والأُسُود الزائرة، والبقر الحلُوب، والشمس البازغة، والنجوم الزاهرة، والليالي المظلمة، والأشباح المهيبة.

وفي الجملة: كان يعبد من المخلوقات كل ما يخشَىٰ شرَّه، أو يرجو خيره اتقاءً لضَرره أو طمعًا في خيراته.

ولما بُعِثَ محمد برسالة الله أعلن لجميع البشر بأن هذه المخلوقات كلها إنما خُلِقَت لهم ولم يُخلَقوا لها، وأنها مسخَّرة لهم؛ فلا يَليق بهم أن يَسجُدوا لشيء منها، وقال لهم: أيها الناس، أنتم خلفاء الله في هذا العالَم، وقد سخَّر لكم كل ما فيه جميعًا، إن الدنيا لكم ولستُم لها؛ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ

(١) «الرسالة المحمدية» للسيد سليمان الندوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خَلِيفَةً ﴾[البقرة: ٣٠]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ولأجل استخلاف بني آدم في الأرض سَمَت منزلتهم بين جميع المخلوقات، وشَرَّفهم الله وكَرَّمهم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ فهل يجوز لمن كَرَّمه الله أن يسجد لمن هو دونَه، ويعبد ما هو أصغر منه شأنًا؟ وكيف يسجد بنو آدم لشيء غير الله والعالم مُسَخَّر من الله لهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[الحج: ٦٥]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة: ٢٩]، ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾[النحل:٥]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [النحل:١٠، ١١]. فلبني آدم الأرض وما فيها من الشجر والخضر ومن الثمر والزهر وغيرها من المنافع والمرافق مما لا يعد كثرة ولا يحصىٰ وفرة، ولهم السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [النحل: ١٢]، ولهم البحر وفيضانه، والنهر وجريانه ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[النحل: ١٤]. والقرآن الحكيم حافلٌ بكثيرٍ من هذِهِ الآيات.

فدَلَّت الرسالة المحمدية بذلك علىٰ أن موقف الإنسان من هذا العالَم موقف المكرَّم فهو مُكَلَّل بإكليل الجلال والعظمة، لا يفوقه شيء من موجودات الكون، والكون كله دون الإنسان، وهو نقطة دائرة العالم وإنسان عينه، والغاية من خلق العالم، ولأجله جُعِلَت الدنيا.

ومما يثير العجب أن يركع الإنسان لمخلوق، أو يسجد لما هو دونه، أو يعبد شيئًا خلقه الله له، وكيف يفعل الإنسان ذلك وقد كرَّمه ربُّه وشَرَّفه وفضَّله علىٰ جميع ما في العالم تفضيلًا؟ قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء].

ولمَّا جهل الإنسان قَدْر نفسه جعل يرفع رجالًا من أمثاله فوق درجاتهم، ويجعل آخرين في مكانة رفيعة لا يستحقونها، وقد كان يبلغ الأمر بالإنسان إلَىٰ أن يعبد الإنسان! أما رسالة محمد ﷺ فقد عَرَّفت الناس بأقدارهم وأنزلتهم منازلهم، وأعطت كل ذي حق حقه فلم تنقص من حقه شيئًا، ولم ترفع أحدًا من الناس فوق مكانته الَّتِي يستحقها؛ فكما لم تحط عزيزًا عن عِزَّته الجدير بها لم ترفع أحدًا فوق المقام اللائق به؛ وبذلك دَلَّت الإنسان علَىٰ شرفه وعلائه، وعلَّمته أنه مهما كان رفيعًا وذا سلطة وبأس فإنه لن تبلغ به رِفعته أن يُعبَد كما كان يريد الفراعنة أن يُعْبَدوا، ومهما كان طاهرًا عابدًا مُتبتِّلًا؛ فلا ينبغي لإنسانٍ أن يركع له أو يرجو منه ما لا يُرْجَىٰ إلَّا من الله، أو يخشاه كخشية الله، ومهما حاز من المال الكثير والثَّراء العظيم فليس له أن يستعلي بذلك علَىٰ إخوانه من خَلْق الله. إن رسالة محمدٍ ﷺ قد قطعت الفساد، واجتثَّت الشرّ من أصوله، وأعلنت في الناس بوضوح وجلاء هذِهِ الحقيقة: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأذاعت في العالم عن الأنبياء أنفسهم ـ وهم أسمَىٰ مراتب البشر ـ أنهم لا ينبغي لأحد منهم أن يقول للناس: ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ليس في عالَم الشهادة أرفع قَدْرًا من الأنبياء، ولا في عالَم الغيب أعلىٰ درجة من الملائكة؛ ومع ذلك لا يجوز أن يتّخذ الناس أحدًا من الأنبياء أو الملائكة معبودين لهم: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]. فالرسالة المحمدية رفعت مكانة الإنسان وقد كانت منحطّة من قبل فصار لا يخضع ولا يحني رأسه لغير الله، ولا يسجد إلَّا له، ولا يمدّ يده سائلًا غيره؛ إذ لا معطي لمن منعه الله، ولا مانع لمن أعطاه الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ الرسالة المحمدية تبشر الناس وتوسع ما ضيقه الآخرون:

إن الرسالة المحمدية أذَّنت في البشر أن الإنسان نزَّاع إلىٰ الخير، وأن فِطْرته بريئة في الأصل، ثم تطرأ عليها أعماله فتجعله آثمًا مذنبًا، أو تقيًّا صالحًا؛ فسيئاته التي يقترفها هي التي تؤثِّر فيه فتجعله شيطانًا مَرِيدًا، كما أن حسناته التي تَصْدُر عنه هي الَّتِي تجلو نفسه وتهذِّبها؛ فيكون بها مَلَاكًا طاهرًا.

إن هذه لبُشْرَىٰ عظيمة، هتف بها محمد ﷺ رسول الإسلام في بني آدم، بعد أن كانت الأديان المنتشرة في الهند والصين من سالف الأيام تنشر الإيمان بالتناسخ وبَعث الأرواح بعد موت أصحابها في أجساد أخرىٰ أرفع منزلة مما قبلها إذا عملوا أعمالًا صالحةً أو في أجساد أذلّ وأحقر مما كانت فيه من قبل إذا اجترحوا السيئات ! وجرَّ هذا الاعتقاد الفاسد وَبالًا عظيمًا علىٰ مُعتَقِديه؛ فأصبحت حياته حياة إكراه وإجبار، ولا اختيار له فيما يعمل؛ فكأنه آلة صغيرة تحرِّكها آلة كبيرة، وأنه وُلِدَ مُذنِبًا، بل ولادته في الدنيا نذير له بأنه مجرِم آثِم! وجاءت المسيحية المحرفة؛ فثبَّتت في الناس عقيدة أن كل مولود يحمل من ساعة وِلادته خطيئة أبيه الأول آدم؛ فالمولود يُولَد آثِمًا مخطئًا وإن لم يكن يخطئ في الواقع! والمخطئ الآثِم بجِبلّته يحتاج إلىٰ المغفرة من شخص آخر لم يولد آثِمًا ولم يخطئ بجِبلّته؛ فيفدي هذا الشخص الأخير بنفسه خطيئة بني آدم؛ ليذهب بسيئاتهم! وهذا ما نشرته المسيحية المحرفة عند الناس؛ داعية بني آدم إلىٰ الإيمان بالفادي، أما محمد رسول الله فقد بشَّر الإنسان بأنه يُولَد غير آثِم ولا مجبولٍ علىٰ الخطيئة، ولا مسئول عن خطيئة أبيه الأول آدم، وأنه يعيش عيشةً لا إكراه فيها ولا إجبار، وهو مُخيَّر في حياته بين أن يعمل صالحًا إن شاء فيجني ثمرة صلاحه ونزاهته، وبين أن يعمل عملًا سيئًا فيكون بعمله مذنبًا آثمًا: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[سورة التين:١- ٦]. فالإسلام بشَّر بني آدم بأن قوامهم أحسن، وفِطْرتهم أفضل، وجِبلّتهم أعدل، وأنهم بعد هذا الإعداد الإلهي إنما يفسدون أو يصلحون بأعمالهم، وبما يختارونه لأنفسهم؛ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس]، وهل مِن دليل أوضح علىٰ حُسن جِبلَّة الإنسان ونزاهة فِطْرته وطهارة أصله مِن قول الله فيه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾[الإنسان]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار]، وإنّ رسول الله الَّذِي يتحرَّك لسانه بالوحي، ويَصْدُر منطقه عن إلهام؛ قد جعل الدِّين والفِطْرَة بمعنىٰ واحد؛ أي: أنهما كلمتان لمعنىٰ واحد؛ فأصل الفِطْرَة هي الدِّين الَّذِي دُعِيَ الإنسان إليه، والإثم عارِض يَعْرِض للإنسان، ولاحق يطرأ عليه. يقول اللهُ ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم]؛ وقد قال الرسول ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»(١).

إن البُشْرَىٰ الَّتِي بشّر بها الرسول بني آدم هي أن كل إنسان مختار فيما يفعله، غير مُكْرَه عليه ولا مجبَر، وليست حياته الحاضرة نتيجة لحياته الماضية؛ فمن آمن بالرسول فقد تغيَّرت وجهة نظره إلىٰ أعماله؛ فلا هو كئيب واجِم ظنًّا منه أنه مُكْرَه علىٰ عمل هو استمرار لحياة سالفة. فكل مَن آمن بالرسالة المحمدية أصبح بفضلها حُرًّا طليقًا من الأوهام الباطلة والعقائد الفاسدة الَّتِي قيَّدَت حياة البَشَر، وغَلَّت أيديهم.

(١) البخاريّ (١٣٥٨، ١٣٨٥، ٤٧٧٥، ٦٥٩٩)، ومسلم (٢٢، ٢٣، ٢٤ ـ ٢٦٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الدنيا قبل بعثة رسول الإسلام توزَّعتها عقائد باطلة وأوهام سخيفة؛ فكان أهل كل دين في مملكة من الممالك يحسبون أن مملكتهم هي الدنيا كلها؛ فكان براهمة الهند ومتصوفوها يرون أن بلادهم هي أرض الله الممتازة، وما خرج عنها لا نصيب له من رحمة الله؛ لأن الله لا يريد الخير إلَّا لقُطَّان بلادهم ! وأمر الرسالة الإلهية والهداية الربانية قد اختُصّ به بعض البيوتات من سدنة المعابد لا يعدوهم أبدًا، وكذلك كان زردشت يحسب أن الإله إنما يُعنَىٰ بأمر بلاده المقدسة وحدها وبأهل وطنه الأخيار، ولا تعنيه بلاد أخرىٰ ولا أُمّة أخرىٰ، وبنو إسرائيل يظنون أن رسالات الله خاصة ببعض أسباطهم وأنها حقهم الموروث!

أما الإسلام؛ فقد وَسَّع علَىٰ الإنسانية ما ضيَّقه الآخرون، وأعلن أن الناس كلهم سواسية، وأن دعوة الله غير مخصوصة ببلاد دون أخرىٰ؛ فمشرق الدنيا ومغربها وشمالها وجنوبها والشام وفارس والهند، كل قد خلا فيها رسول أو نبي، وأن الله ـ تعالىٰ ـ تستوي عنده الأمم واللغات في بعثة الأنبياء؛ فشمس النبوة أشرقت علَىٰ البشر جميعًا، وتلألأت فيهم أنوار الرسالة: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر]، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الرَّعد]، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ [الروم: ٤٧].

فاليهود لا يؤمنون بنبي ليس منهم، والنصارَىٰ لا يوجبون علَىٰ أنفسهم الإيمان بنبي من بني إسرائيل أو غيرهم، ولا يرون إذا لم يؤمنوا ببعض الأنبياء أن ذلك يخلّ بشيء من دينهم، وكذلك الهنادك لا يعتقدون بأن الإلهام الإلهي والوحي الرباني نزل علَىٰ بلاد غير بلادهم. وهكذا شأن المجوس أتباع زردشت؛ فإنهم يذهبون إلَىٰ أن الدنيا كلها مظلمة سوداء؛ فلا نور إلَّا ببلادهم ـ بلاد النار ـ.

أما الرسالة المحمدية فقد أعلنت أن الدنيا كلها لله وحده، وأن سكانها أجمعين من خلق الله، وأن الأقوام علَىٰ اختلافها سواسية في نِعَمه وآلائه، وكلهم نالوا نصيبًا من دعوته وحظًّا من رحمته، وما من بلاد عمَّرتها أُمّة إلَّا وقد أضاء فيها نور من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هداية الله، وبُعِثَ فيها نبي دعاها إلَىٰ الحق، وبلَّغها أوامر الله ونواهيه[١].

❀ الله ﷻ نسخ بشريعة الإسلام كل الشرائع السابقة:

إن الله ﷻ نسخ بشريعة الإسلام الشرائع السابقة؛ ذلك أن تشريعه أكمل تشريع يفي بحاجات الإنسانية في مرحلتها التي انتهت إليها، بعد أن بلغت أشدها واستوت. فالبشر أول عهدهم بالوجود كانوا كالوليد أول عهده بالوجود سذاجةً وبساطةً وضعفًا وجهالةً ثم أخذوا يتحولون من هذا العهد رويدًا رويدًا ومروا في هذا التحول أو مرت عليهم أعراض متباينة من ضآلة العقل وعماية الجهل وطيش الشباب وغشم القوة. علىٰ تفاوت في ذلك بينهم اقتضىٰ وجود شرائع مختلفة لهم تبعًا لهذا التفاوت. حتىٰ إذا بلغ العالم أوان نضجه واستوائه، وربطت مدنيته بين أقطاره وشعوبه، جاء هذا الدين الحنيف ختامًا للأديان، ومتممًا للشرائع، وجامعًا لعناصر الحيوية ومصالح الإنسانية ومرونة القواعد جمعًا وفَّق بين مطالب الروح والجسد، وآخىٰ بين العلم والدين، ونظم علاقة الإنسان بالله وبالعالم كله من أفراد وأسر وجماعات وأمم وشعوب وحيوان ونبات وجماد مما جعله بحق دينًا عامًّا خالدًا إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها[٢].

---

(١) كتاب «الرسالة المحمدية» للسيد سليمان الندوي.

(٢) كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.

البَابُ الثَّالِث

الأدلة العقلية والكونية والعلمية على نبوة النبي محمد ﷺ

أولًا: الأدلة العقلية على نبوة سيدنا محمد ﷺ:

١ - كمال أخلاقه ﷺ:

إن محمدًا ﷺ قد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجليلة والكمالات العملية والعلمية والمحاسن الراجعة إلىٰ النفس والبدن والنسب والوطن ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي، فإن كل واحد منها وإن كان يوجد في غير النبي أيضًا، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء، فاجتماعها في ذاته ﷺ من دلائل النبوة، وقد أقر المخالفون أيضًا بوجود هذه المحاسن والأخلاق العظيمة في ذاته ﷺ[1].

ومن المعروف أنه قبل النبوة كان يتصف بجميع الخصال والصفات الكريمة حتىٰ سُمِّي بالأمين ولم يُجرِّبْ عليه قومه كذبة، ولا عرفوا عنه زلة أو هفوةً وإن الذين عاشروه قد شاهدوا في كلامه وحركاته وأفعاله ما ملأ قلوبهم يقينًا بأنه صادق جاء يخبر عن ربه بوحيه. ومن ذلك أن بعض الأعراب أسلم حين رآه وقال: والله ما هذا الوجه بوجه كذاب.

وهذه بعض الأمثلة التي تتصل بالجانب الخلقي للنبي محمد ﷺ:

أ - يتبرأ من علم الغيب:

جلست جويريات يضربن بالدف في صبيحة عرس الربيع بنت معوذ الأنصارية،

---

(١) كتاب «مختصر إظهار الحق» للشيخ رحمة الله الهندي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجعلن يذكرن آباءَهُنَّ من شهداء بدر حتىٰ قالت جارية منهن: و فينا نبي يعلم ما في غدٍ. فقال: «**لَا تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ**»(١). ومصداقه في كتاب الله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ [الأنعام:٥٠]، ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف:١٨٨].

ب- لا يُظهر خلاف ما يبطن:

كان عبد الله بن أبي السرح أحد النفر الذين استثناهم النبي من الأمان يوم الفتح؛ لفرط إيذائهم للمسلمين وصدهم عن الإسلام، فلما جاء إلىٰ النبي ﷺ لم يبايعه إلا بعد أن شفع له عثمان رضي الله عنه ثلاثًا. ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال: «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ، يَقُومُ إِلَىٰ هَذَا حِينَ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ؟**» فقالوا: ما ندري ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك ! فقال: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعين**»(٢).

جـ- خوفه من التقول على الله:

قالت عائشة رضي الله عنها: دُعِي رسولُ الله إلىٰ جِنَازةِ صبيٍّ مِنَ الأنصارِ. فقلتُ: يا رسولُ الله، طوبَىٰ لهذا، عصفورٌ مِن عصافيرِ الجَنَّةِ، لم يعملِ السُّوءَ ولم يُدْرِكْه. فقال: «**أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ أَبَائِهِمْ**»(٣).

وإذا سئل النَّبِيُّ مِمَّا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْوَحْي، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّىٰ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْي أَيْ كَانَ لَهُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الشَّيْء الَّذِي لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ فِيهِ حَالَانِ:إِمَّا أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي، وَإِمَّا أَنْ يَسْكُت حَتَّىٰ يَأْتِيه بَيَان ذَلِكَ بِالْوَحْيِ،وَالْمُرَاد بِالْوَحْيِ أَعَمّ

(١) البخاري (٤٠٠١، ٥١٤٧).
(٢) سنن أبي داود (٢٦٨٥، ٤٣٦١) وصححه الألباني.
(٣) مسلم (٣٠، ٣١ـ ٢٦٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنَ الْمُتَعَبِّدِ بِتِلَاوَتِهِ وَمِنْ غَيْرِه.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّىٰ نَزَلَتِ الآيَةُ(١).

د- لا يدري ماذا سيكون حظه عند الله:

ولما تُوفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت أم العلاء - امرأة من الأنصار -: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ؟**» فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ قال: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولٌ مَا يُفْعَلُ بِي**» قالت: فوالله لا أزكي أحدًا بعده أبدًا(٢).

ومصداقه في كتاب الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف: ٩].

أتراه لو كان حين يتحامىٰ الكذب يتحاماه دهاءً و سياسةً، خشية أن يكشف الغيب قريبًا أو بعيدًا عن خلاف ما يقول، ما الذي كان يمنعه أن يتقول ما يشاء في شأن ما بعد الموت، وهو لا يخشىٰ من يراجعه فيه، و لا يهاب حكم التاريخ عليه؟ بل منعه الخُلق العظيم، وتقدير المسئولية الكبرىٰ أمام حاكم آخر أعلىٰ من التاريخ و أهله ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾ [الأعراف](٣).

٢ - جوابه الحاضر على أسئلة المشككين:

لقد كان من أدلة صدق النبي ﷺ جوابه الحاضر علىٰ الأسئلة المفاجئة التي كان يواجهه بها المشككون في صدقه، ولا يتأتىٰ ذلك لشخصٍ كاذب مهما أوتي من

(١) البخاري (١٢٥، ٧٤٦٢).
(٢) البخاري (٢٦٨٧، ٣٩٢٩، ٧٠٠٣).
(٣) كتاب «الطعن في القرآن الكريم».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فطنةٍ، بل لا يصدر إلا عن نبي مُؤَيَّدٍ بوحيٍ من السماء، فمن أمثلة ذلك.

قال ابْنِ عَبَّاسٍ:حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللهِ يَوْمًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: «**سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللهِ، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عليه السلام عَلَى بَنِيهِ، لَئِنْ حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ لَتُتَابِعُنِّي عَلَى الْإِسْلَامِ**». قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ. قَالَ:«**فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ**». قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعِ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ؛ أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ كَيْفَ يَكُونُ الذَّكَرُ مِنْهُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ،وَمَنْ وَلِيُّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ:«**فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتُتَابِعُنِّي**». قَالَ:فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ. قَالَ: «**فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى ﷺ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ -يَعْقُوبَ عليه السلام - مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانَ الْإِبِلِ وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟**» قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ، فَأَيُّهُمَا عَلَا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللهِ؛ إِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللهِ؟**».قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ،فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ**». قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». قَالُوا:وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا مَنْ وَلِيُّكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ؟ قَالَ:« **فَإِنَّ وَلِيِّيَ جِبْرِيلُ عليه السلام وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّهُ**». قَالُوا: فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ؟ لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ. قَالَ:«**فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟**» قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوُّنَا. قَالَ:فَعِنْدَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذَلِكَ قَالَ اللهُ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٩٧] إِلَىٰ قَوْلِهِ وَجَلَّ: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة]. فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾[(١)].

فلو كان النبي ﷺ رجلًا كاذبًا- وحاشاه -، هل يغامر هذه المغامرة، ويرضىٰ بهذا الاختبار العلني من علماء وأحبار، وهو لا يعرف ما هي الأسئلة أو إجاباتها، ويقول: «**سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ؟!**» لو كان يأخذ من أساطير الأولين، أليس المفترض أنه يقول: انتظروني حتىٰ أراجع مراجعي أو مشايخي، أم أنه كان مطمئنًا إلىٰ صدق نفسه، واثقًا بمن أرسله وأنه لا يخذله أبدًا، ومع أنهم يسألونه في علوم لم يدرسها ولا يعرفها قومه، إلا أنه كان يجيب عليها بكل دقة، والعجب أن هذه الأسئلة ليست في علمٍ واحدٍ، بل هي في عدة علوم، فبعضها طبية وبعضها غيبية لا يمكن لأحد أن يطلع عليها إلا بوحي، أليس في هذا أوضح دليل علىٰ صدق رسالته؟[(٢)].

٣- إقرار الله ﷻ لدعوته:

فإن الله تعالىٰ أخبر أن محمدًا لو تقوّل علىٰ ربه شيئًا من الأقاويل لأهلكه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة]، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾[طه]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[الزمر]، ولكن النبي ﷺ ما خاب بل هُدي وأفلح في كل المجالات، ودينه أعظم الأديان في الأرض وأكثرها انتشارًا[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٨)، وصححه العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) كتاب «الطعن في القرآن الكريم».

(٣) المرجع السابق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم يعرف في السنن الإلهية أن الله يؤيد في دعوىٰ النبوة كاذبًا أو ينصر مبطلًا ففي ذلك الضرر العظيم. وقد قال المسيح عليه السلام: سيظهر بعدي أنبياء كذبة فقيل: ما علامتهم؟ فقال: أن الله لا يؤيدهم.

وقد شهد المخالفون أن محمدًا عليه الصلاة والسلام أُوتي من النصر ما لم يؤته أحد من قبله ولا من بعده. فمن ظن أن الله نصره وأيده مع كونه باطلًا فقد جهل ما يليق بصفات الله تعالىٰ وسننه في خلقه وأساء الظن بعدالته وحكمته إساءةً كبرىٰ، هل يستطيع الكاذب أن يخفي حاله طيلة حياته علىٰ الناس عامتهم وخاصتهم؟ كلا: فإن الرياء طلاء كاذب، لا يلبث أن تقضي عليه حوادث الأيام، وبخاصة إذا كان لصاحبه أعداء يحصون هفواته ويتتبعون حياته، ويتقصون أسراره، ويتدارسون سيرته وأخباره.

لا يستطيع كاذب أن يخاطب اليهود –والتوراة بين أيديهم– بقوله علىٰ لسان القرآن ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] ثم يوبخهم ويقرعهم بأنه يجدونه فيها، وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وليس من المتصور أن يجترئ علىٰ ذلك وهو يعلم كذب نفسه والكاذب ضعيف حتىٰ عند نفسه.

من تأمل ما جاء به محمد ﷺ وضح له أن مثل هذا لا يصدر إلا من أعلم الناس وأصدقهم وأبرهم وأنه يستحيل صدوره عن متعمد للكذب مفتر علىٰ الله أو خاطئ جاهل يظن أن الله أرسله ولم يرسله. ذلك بأنه جاء بإصلاح وهدىٰ ورحمة وإرشاد للخلق إلىٰ ما ينفعهم ليتبعوه وما يضرهم ليجتنبوه. فكانت حاله في بث رسالته ناطقةً بأنه رحيم بار[1].

وكتب أهل الكتاب نفسها تشهد بصدق محمد ﷺ، ففي سفر المزامير (١ / ٦): (لأن الرب يعلم طريق الأبرار. أما طريق الأشرار فتهلك).

---

(١) كتاب «محمد ﷺ المثل الكامل» لمحمد أحمد جاد المولى بك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي المزمور (٥ / ٦): (تهلك المتكلمين بالكذب. رجل الدماء والغش يكرهه الرب).

وفي المزمور (٣٤ / ١٦): (وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم).

وفي المزمور (٣٧ / ١٧ و٢٠): (١٧) لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعي فنوا. كالدخان فنوا).

وفي سفر أعمال الرسل (٥ / ٣٥-٣٩) كلام غمالائيل كما يلي: ثم قال لهم: أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس في ما أنتم مزمعون أن تفعلوا؛ لأنه قبل هذه الأيام قام ثوادس قائلًا عن نفسه إنه شيء. الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة. الذي قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء، بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعبًا غفيرًا. فذاك أيضًا هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا، والآن أقول لكم: تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم؛ لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه؛ لئلا توجدوا محاربين لله أيضًا).

فعلىٰ حسب نص هذه الفقرات لو كان محمد ﷺ متكلمًا بالكذب علىٰ الله ولم يكن نبيًّا صادقًا لأهلكه الرب ولقطع من الأرض ذكره، ولكسر سواعده، ولأفناه كالدخان، ولبدده وأتباعه وشتتهم، ولنقض قوله وعمله، ولكن الله تعالىٰ لم يفعل شيئًا من ذلك، بل مد في الأرض ذكره، وعضده ونصره، وصدق قوله وعمله، فثبت بما لا يدع مجالًا للشك صدق محمد ﷺ ونبوته ورسالته، وثبت أن اليهود والنصارىٰ المكذبين له محاربون لله ورسوله، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال أيضًا ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الصف:٨] (١).

(١) كتاب «مختصر إظهار الحق».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤ – استجابة الله دعائه:

وكان النبي ﷺ لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجاب الله تعالىٰ له في الحال، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا. فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**». قَالَ أَنَسٌ:وَلَا وَاللهِ مَا نَرَىٰ فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ-جبل في المدينة - مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ،قَالَ:فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا-وفي رواية: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّىٰ ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ - ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا. قَالَ:فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَىٰ الْآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**». قَالَ: فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ،فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ»(١).

إلىٰ غير ذلك من الأدعية الكثيرة جدًّا، التي استجاب الله له فيها بالحال، وهذا لا يمكن أن يتيسر لكاذب، بل لا يكون إلا لصادقٍ مُؤَيَّدٍ من الله فيطوع له الطبيعة، ويسخر له السحاب والأمطار(٢).

---

(١) البخاري(٩٣٣، ١٠٣٣، ١٠١٤) واللفظ له، ومسلم: (٨ـ٨٩٧).

(٢) «الطعن في القرآن الكريم».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- إخباره ﷺ بحدوث المغيبات المستقبلة مثال ذلك:

أن الرسول ﷺ أخبر الصحابة بفتح مكة ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح:٢٧] وأخبرهم أن الله سيستخلفهم في الأرض: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور:٥٥] وقد تحقق ذلك.

وفتح بيت المقدس واليمن والشام والعراق وقد حدث بأن خيبر تفتح علىٰ يد علي رضي الله عنه في غد يومه وقد حدث، وأن فارس ستزول ولا فارس بعدها، وأما الروم فذات قرون كلما هلك قرن خلفه قرن آخر، والمراد بالروم: الفرنج وسائر النصارىٰ، وهذه الأمور وقعت في زمن الصحابة رضي الله عنهم كما أخبر ﷺ.

وأخبر ﷺ أن عثمان يقتل وهو يقرأ في المصحف، وأن أشقىٰ الآخرين الذي يقتل عليًّا، وأن عمارًا تقتله الفئة الباغية، فاستشهد الثلاثة رضي الله عنهم كما أخبر ﷺ.

وأخبر ﷺ أنه يظهر في قبيلة ثقيف كذاب (متنبئ) ومبير (مهلك)، فظهرا كما أخبر ﷺ، فقد ادعىٰ النبوة المختار الثقفي، فقاتله أمير البصرة (مصعب بن الزبير) فقتله في الكوفة سنة ٦٧هـ/ ٦٨٧م، والمهلك هو الحجاج الثقفي المتوفىٰ سنة ٩٥هـ/ ٧١٤ م.

وأخبر ﷺ أن الوباء يكون بعد فتح بيت المقدس، فكان كما أخبر ﷺ، فقد ظهر هذا الوباء بعد فتح بيت المقدس بثلاث سنوات في خلافة عمر رضي الله عنه في قرية عمواس البعيدة عن القدس حوالي ٢٠كم، وبها كان اجتماع العسكر، وكان هو أول طاعون وقع في الإسلام، مات به سبعون ألفًا.

وأخبر ﷺ أن ابنته فاطمة أول أهله لحوقًا به، فتوفيت رضي الله عنها في رمضان سنة ١١هـ/ ٦٣٢م بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ.

وأخبر ﷺ أن الحسن بن علي رضي الله عنهما سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووقع كما أخبر ﷺ؛ لأنه بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ، ودامت خلافته سبعة أشهر، ثم كره اقتتال المسلمين، فتنازل عن الخلافة في جمادىٰ الأولىٰ سنة ٤١هـ لمعاوية رضي الله عنه، فأصلح الله به بين أهل العراق وأهل الشام، وسمي هذا العام عام الجماعة.

وأخبر ﷺ سراقة بن جعشم أنه يلبس سواري كسرىٰ، فلما أتىٰ بهما عمر رضي الله عنه في خلافته ألبسهما إياه تنفيذًا لوعد النبي ﷺ، وقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي سلبهما كسرىٰ وألبسهما سراقة.

وأخبر ﷺ أن نارًا ستخرج من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بصرىٰ، فخرجت هذه النار العظيمة قرب المدينة المنورة في جمادىٰ الآخرة سنة ٦٥٤ هـ، واشتدت حتىٰ اضطربت الأرض بمن عليها، وارتفعت الأصوات لخالقها، وأيقن أهل المدينة بالهلاك، وبقي الناس في زلزال شديد حتىٰ انطفأت في ٢٧ رجب، وأخبار هذه النار مدونة في كتب التواريخ، وفيها كتب مستقلة، وذكرها البخاري ومسلم في صحيحيهما قبل ظهورها بمقدار أربعمائة سنة.

ومن هذا الباب إخباره عن مكنون الضمائر ومخبوء النفوس بلسان القرآن أيضًا مثل قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة:٨] وقوله: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا﴾ [آل عمران:١٢٢] وقد وضح لمعاشريه أنه كلما زادت أخباره ظهرت صحتها، وكلما قويت مكاشفته وامتحانه تجلىٰ صدقه واتضح حقه[(١)].

٦ - عجز العرب عن معارضة القرآن الذي أنزل عليه:

كان العرب أمراء الفصاحة والبلاغة، وما كان أحرصهم علىٰ تكذيب محمد ﷺ وإخفاء أمره؛ لأنه سفَّه أحلامهم ونكس أصنامهم وشدد في توبيخهم وتأنيبهم:

(١) كتاب «محمد ﷺ المثل الكامل».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذ قال لهم بلسان القرآن ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٤].

وإذ قال لليهود: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة:٩٥]، يريد الموت فلم يستطيعوا أن يتمنوه حتىٰ بألسنتهم مع شدة حرصهم علىٰ تكذيبه، وإذ عجز العرب عن معارضته وقامت عليهم الحجة، فهي قائمة علىٰ غيرهم.

كما قامت حجة عيسىٰ عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص علىٰ الأطباء وغيرهم وكما قامت حجة موسىٰ عليه السلام بقلب العصا حية علىٰ السحرة وغيرهم؛ لأن عجز الجماعات الإنسانية وهم متعاونون أفرادًا ومجتمعين، عن معارضة أعمال جاءت علىٰ أيدي بشر مثلهم وهم أفراد لا معين لهم دليل علىٰ أن ما جاء به هؤلاء الأفراد من عند الله، ليس في طوق البشر الإتيان بمثله، ولا عجب فقد وجد المنصفون من العرب وغيرهم أن القرآن الكريم صادر من مشكاة سماوية وعين قدسية، وأنه كتاب يدعو لعبادة الله وتقديسه. وينوه بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، ويدل علىٰ طرقها، ويرقي الإحساس، ويرفع النفوس، ويأمرنا ألا نخاف إلا الله ولا نرجو إلا الرحمن منقذًا لنا من رق الشهوات واستعباد الأوهام وليس أدل علىٰ صدق من نزل عليه وعظم يقينه من قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

لما سمع العرب القرآن الكريم اختلفوا في أمره فمنهم من ظهر له أن هذا القرآن بلغ مرتبة في الفصاحة والبلاغة لا تدركها القوىٰ البشرية وأن فيه خواص كاملة، لا يمكن عند العقل اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنق فيه واضعه واتسع إطلاعه علىٰ الماضي والحاضر والمستقبل وعلىٰ أحوال الأمم في مختلف شئونها، وإن أحاط بجميع الفنون والآداب والحكم والسياسات، وتحرىٰ فيه عدم التضارب والتناقض. كل ذلك مع الانفراد عن الأساليب المعهودة عند العرب. ولا غرابة فقد رأوا اتساع مجاله في كل فن: من أخبار وحكم ومواعظ وأمثال، وأخلاق وآداب،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وترغيب وترهيب، ومدح الأخيار وذم الفجار، والتحذير من قبائح السجايا ومواقع الدنايا، وتدبير السياسات ومدافعة الأعداء، ومجادلة الخصوم، وإقامة البراهين علىٰ وجود الله تعالىٰ ووحدانيته وعلىٰ الحشر والنشر، ووصف عالم السماوات وما فيها من الكواكب والأمطار والسحائب، ووصف الأرض وجبالها وسهولها وبحارها وينابيعها وأنهارها وما اشتملت عليه من حيوان ونبات ومعادن.

وجملة القول أنهم شاهدوا أن القرآن الكريم لم يدع علمًا من علوم الأولين والآخرين إلا صرح به. أو أشار إليه بأساليب منوعة وطرائق مبدعة لم يقع فيه تناقض، ولم يتخلله تضارب، مع انفراده بأسلوب ليس له مثال يحتذىٰ ولا إمام يقتدىٰ به: فلا هو من ضرب القصائد العربية ولا من الأراجيز البدوية ولا من الخطب، ومع هذا فقد وجدوه في عقولهم مستحسنًا وفي نفوسهم مستملحًا، وفي أذواقهم مستعذبًا، ولأسماعهم مألوفًا، كلما تكرر حلا، وكلما استعيد ازداد جدةً ورونقًا.

ومن أجل ذلك أوضح لهم العقل السليم أن تلك الصفات الباهرة لا تجتمع في كلام اتفاقًا ومصادفة. فإتيان محمد عليه الصلاة والسلام به وهو أمي أكبر دليل علىٰ أنه من عند الله تعالىٰ أرسله به ليكون معجزة له.

يقول الدكتور هنري استب في كتابه «إعجاز القرآن»: لغة القرآن وأسلوبه في درجة معدومة النظير، حتىٰ إن محمدًا ﷺ اتخذه أكبر شاهد علىٰ صدق رسالته؛ لأنه خارج عن طوق البشر. وتحدىٰ العرب بأن يأتوا بعشر آيات من مثله مفتريات، فعجزوا.. من أجل ذلك كان حقًّا ما يقال من أن الله ﷻ قد ميز محمدًا فأرسله للناس بمعجزةٍ خالدةٍ لتكون حجةً قائمةً في جميع العصور تتداولها العصور. ولم يبق من معجزات النبي إلا تلك المعجزة التي تحدىٰ بها العرب أجمعين وقد كانوا أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة، وفيهم الشعراء المفلقون. ودعاهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فوضح بذلك لأشد الناس كفرًا صدق نبوته ورسالته، وكان خليقًا أن يتحدىٰ الإنس والجن علىٰ لسان القرآن إذ يقول:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

لا جرم أنه لا يليق بأهل الفطنة والذكاء والبيان أن يماروا في طلاوة القرآن فهو مقياس للغة العرب وبلاغتهم وليس بمنصفٍ من ينسب إليه التنافر والاختلاط والأخطاء في إيراد الحوادث التاريخية(١).

يقول إميل درمنجم: «كان محمد ﷺ يعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي، وكان مبلغ حرصه أن يكون أمينًا مصغيًا أو سجلًا صادقًا أو حاكيًا معصومًا لما يسمعه من كلام الظل الساطع والصوت الصامت للكلام القديم علىٰ شكل دنيوي، لكلام الله الذي هو أم الكتاب، للكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة. ولا بد لكل نبيٍّ من دليلٍ علىٰ رسالته، ولابد له من معجزةٍ يتحدىٰ بها.. والقرآن هو معجزة محمد ﷺ الوحيدة، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال.. إلىٰ يومنا يثيران ساكن من يتلونه، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين، وكان محمد ﷺ يتحدىٰ الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد علىٰ صدق رسالته.. ولا ريب أن في كل آية منه، ولو أشارت إلىٰ أدق حادثة في حياته الخاصة، تأتيه بما يهزّ الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب في أن هنالك ما يجب أن يبحث به عن سرّ نفوذه وعظيم نجاحه(٢).

٧ - عدم استغلاله فرص التعالي:

في بعض المواقف تحصل للنبي فرصة عظيمة للتعالي والتكبر والفخر، ولكنه يأبىٰ أن يفعل ذلك، ولو كان كاذبًا لاستغلها أعظم استغلال:

يقول إميل درمنغم: (ولد لمحمد ابنه إبراهيم فمات طفلًا، فحزن عليه كثيرًا

(١) «محمد ﷺ المثل الكامل».

(٢) «حياة محمد».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولحده بيده، ووافق موتُه كسوف الشمس، فقال المسلمون:إنها انكسفت لموت إبراهيم. ولكنَّ محمدًا كان من سمو النفس ما رأىٰ به رد ذلك، فقال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**»(١)؛ فقول مثل هذا لا يصدر عن كاذب دجال...) (٢) وهذا كلام حق، فلو كان غير النبي ﷺ من مدعي النبوة، لاهتبل هذه الفرصة وقال: انظروا إلىٰ الشمس حزنت لحزني وانكسفت(٣).

٨ - حمايته من كل ما يُكَادُ به، ونجاته من كل محاولات الاغتيال وتأييد الله له:

وهذا الدليل استدل به اليهود علىٰ صدق النبي ﷺ: فقد نجاه الله ﷻ من سحر لبيد بن الأعصم فقد ذهب إليه رؤساء اليهود لكي يسحر النبي ولكن الله حفظه ففي حديث عائشة: قَالَت: سحر رسولَ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زريق يقال لَه: لبيد بن الأعصم حتىٰ كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتىٰ إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: «**يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه: مَا وَجَعُ الرَّجُل؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بن الأَعصَم، قَالَ: فِي أَيِّ شَيءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُبِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَر، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذرْوَان**»... قلت: أفلا استخرجته، قَالَ: «**قَدْ عَافَانِي اللهُ**»(٤).

وعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا،

(١) البخاري (١٠٦٠)، ومسلم (٢١ ـ ٩١١).

(٢) «حياة محمد».

(٣) «الطعن في القرآن الكريم».

(٤) البخاري (٥٧٦٣، ٦٣٩١)، ومسلم (٤٣ ـ ٢١٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَجِيءَ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ. قَالَ: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ**»(١).

وقد أيد الله محمدًا ﷺ، وعصمه من أعدائه، وهم الجم الغفير، والعدد الكثير، وهم أحنق ما كانوا عليه، وأشد طلبًا لنفسه، وهو بينهم مسترسل قاهر، ولهم مخالط ومكاثر، ترمقه أبصارهم شزرًا، وترتد عنه أيديهم ذعرًا.

وتواعده المشركون مراتٍ عدة، وأتوا للفتك به بكل حيلةٍ ومكيدةٍ: فمنهم من هرب وفر، ومنهم من وقع مغشيًّا عليه، ومنهم من ضرب الله علىٰ عينيه، ومنهم من سقط بين يديه.

ومن ذلك أن قريشًا اجتمعت علىٰ قتله، فخرج عليهم من بيته وحثا التراب علىٰ رءوسهم، وخلص منهم وهم له منتظرون: صم بكم عمي فهم لا يبصرون.

وتبعه سراقة حين الهجرة يريد قتله –وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل– فلما قرب منهما خر عن فرسه بعد أن ساخت قوائمها مرتين. فناداه بالأمان، وقابله بالإحسان.

أتم الله التأييد لنبيه محمد ﷺ: فمكنه من توحيد أمة منقسمة إلىٰ قبائل متعادية، وجاءها بقانون كفل لها السلطان علىٰ جميع الأمم، بعد أن كانت في حيز العدم. ومحا العقائد الباطلة، وأبدل بها دينا بلغ من سمو مبادئه أنه لا يزال يزيد وينمو في كل يوم نفسه.

تمت له هذه الأمور كلها، ولم يفقد من طهارة نفسه ولا سمو روحه مثقال ذرة، ولم تفتن نفسه الطاهرة بنجاحه الباهر، مع أن عشر معشار هذا النجاح العظيم قد فتن كثيرًا من الملوك والمشترعين والفلاسفة والقواد(٢).

(١) البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٤٥ ـ ٢١٩٠).

(٢) «محمد ﷺ المثل الكامل».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩ - انتفاء الغرض الشخصي:

من أدلة صدق النبي ﷺ عدم إرادة المصلحة الشخصية لنفسه من هذه الدعوة؛ وقد نبه الله تعالىٰ علىٰ هذا الدليل بقوله: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص].

وهذا علىٰ خلاف أصحاب المذاهب والأفكار الباطلة والدجالين والكذابين؛ فإنهم يسعون لتحقيق مصالح شخصية ومآرب ذاتية من جاهٍ ومالٍ ونساءٍ وأتباعٍ ومنصبٍ وشهرةٍ وغير ذلك، بينما لا تجد هذا في النبي ﷺ، فهو من أفقر الناس؛ حيث كان تمرُّ ثلاثة أهلَّة ولا يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، وإنما كان طعامه التمر والماء[(١)]، وتأتي الفقيرة إلىٰ بيت رسول الله، فلا تجد عائشة إلا تمرةً واحدةً فتعطيها إياها[(٢)]، وأحيانًا يأتي الفقير فيرسل النبي ﷺ إلىٰ بيوته التسعة، فلا يجد فيها شيئًا حتىٰ التمرة، ليس في بيوته التسعة إلا الماء[(٣)]. ولقد خَيَّره ربه بين أن يكون عبدًا رسولًا أو ملكًا رسولًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ، فَنَظَرَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ:إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ. فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ:يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: «**بَلْ عَبْدًا رَسُولًا**» [(٤)].

وكان أزهد الناس في الدنيا وزخرفها، فعن عُمَر بْن الْخَطَّابِ قال:رأيت النبي ﷺ وإِنَّهُ لَعَلَىٰ حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ،

---

(١) البخاري (٢٥٦٧، ٦٤٥٩)، ومسلم (٢٨ ـ ٢٩٧٢).

(٢) البخاري (١٤١٨)، ومسلم (١٤٧ ـ ٢٦٢٩).

(٣) البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (١٧٢ ـ ٢٠٥٤).

(٤) أحمد (٢/ ٢٣١)، وابن حبان (٢١٣٧) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ،فَقَالَ:«**مَا يُبْكِيكَ؟**». فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟! فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ قَالَ: اضْطَجَعَ النَّبِيُّ عَلَىٰ حَصِيرٍ فَأَثَّرَ فِي جِلْدِهِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كُنْتَ آذَنْتَنَا فَفَرَشْنَا لَكَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**مَا لي وللدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»(٢).

وكان لا يحب أن يرفعه الناس فوق قدره: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أنه سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَيا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عز وجل**(٤)».

١٠ - إخباره بالغيبيات والمبشرات:

فقد أخبر النبي ﷺ بكثير من الأمور قبل حصولها، أو حتىٰ حصول مقدماتها، مع أن هذا لا يتأتىٰ من بني البشر، فالغيب بيننا وبينه حجاب كثيف، ولا ينخرق هذا الحجاب إلا بوحي من السماء.

---

(١) البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (٣١ـ١٤٧٩).

(٢) أحمد (١/ ٣٠١)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٩).

(٣) البخاري (٣٤٤٥).

(٤) أحمد (٣/ ٢٤١)، والبخاري في «التاريخ الصغير» (٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نعم، قد يستشرف الإنسان المستقبل ويستقرئه ويستشفه عن طريق مقدمات ودلائل يلتمس منها النفوذ إلىٰ حجاب المستقبل، كما يفعل الساسة والاقتصاديون وغيرهم، ولكنه في الغالب لا يكون صوابًا، والصواب منه إنما حصل بسبب حصول مقدماته،كرجل مر علىٰ بيتٍ قديمٍ متهاوٍ، فقال: احذروا هذا البيت فإنه سيقع. فإننا نقول: قد يكون لكلامه شيء من الصحة باعتبار هذه الإشارات التي حصلت. وأما لو مر علىٰ بيت جديد محكم البناء، وقد بُني علىٰ أحدث الطرق الهندسية بإشراف مهندسين ومتخصصين وخبراء، فقال: احذروا هذا البيت فإنه سيقع. لقلنا:هذه ترهات وسفاهات لا تصدر من عاقل.

لذلك إذا لم يكن هناك مقدمات وإشارات وقرائن، فلا يمكن لأحد أن يعرف ماذا سيحصل في المستقبل، بل ولا يمكن أن يعرف ماذا سيحصل بعد ثانية: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل:٦٥].

فمثلًا لو أن النبي ﷺ انتصر علىٰ العرب، ثم بشر بأنه سينتصر علىٰ العجم، لقلنا: إنما قال هذا لحصول مقدمات لهذا الحدث، وهو انتصاره علىٰ العرب، ولكن الأمر الغريب أن النبي ﷺ يبشر بهذه الأمور في ظروف هي أبعد ما تكون توقعًا لها.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا:أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَن قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،وَاللهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢، ٣٨٥٢، ٦٩٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالدعوة المحمدية في مكة عشر سنوات كلها إعراض من قومه عن الاستماع لقرآنه، وصد لغيرهم عن الإصغاء له، واضطهاد وتعذيب لتلك الفئة القليلة التي آمنت به، ثم مقاطعة له ولعشيرته ومحاصرتهم مدة غير يسيرة في شِعبٍ من شِعاب مكة، ثم مؤامرات سرية أو علنية علىٰ قتله أو نفيه، فهل للمرء أن يلمح في ثنايا هذا الليل الحالك الذي طوله عشرة أعوام، شعاعًا و لو ضئيلًا من الرجاء أن يتنفس صبحه عن الإذن لهؤلاء المظلومين برفع صوتهم وإعلان دعوتهم؟ و لو شام المصلح تلك البارقة من الأمل في جوانب نفسه من طبيعة دعوته، لا في أفق الحوادث، فهل يتفق له في مثل هذه الظروف أن يربوا في نفسه الأمل حتىٰ يصير حكمًا قاطعًا؟ وهَبْهُ امتلأ رجاءً بظهور دعوته في حياته ما دام يتعهدها بنفسه، فمن يتكفل له بعد موته ببقاء هذه الدعوة وحمايتها وسط أمواج المستقبل العاتية؟ وكيف يجيئه اليقين في ذلك و هو يعلم من عبر الزمان ما يفت في عضد هذا اليقين؟ فكم من مصلحٍ صرخ بصيحات الإصلاح فما لبثت أصواته أن ذهبت أدراج الرياح، وكم من مدينة قامت في التاريخ ثم عفت ودرست آثارها، وكم من نبي قتل، وكم من كتابٍ فُقِدَ أو انتقص أو بُدِّلَ، وهل كان محمد ﷺ ممن تستخفه الآمال فيجري مع الخيال؟ إنه ما كان قبل نبوته يطمع في أن يكون نبيًّا يوحي إليه: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٨٦] و لا كان بعد نبوته يضمن لنفسه أن يبقىٰ هذا الوحي محفوظًا لديه ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء]؛ فلا بد إذًا من كفيلٍ بهذا الحفظ من خارج نفسه، ومن ذا الذي يملك هذا الضمان علىٰ الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت؟ إلا رب الدهر الذي بيده زمام الحوادث كلها، والذي قدر مبدأها ومنتهاها، وأحاط علمًا بمجراها و مرساها، فلولا فضل الله ورحمته الموعود بهما في الآية الآنفة، لما استطاع القرآن أن يقاوم تلك الحروب العنيفة التي أقيمت ولا تزال تقام عليه بين آن وآن. سَلِ التاريخ: كم مرةٍ تنكر الدهر لدول الإسلام، وتسلط الفجار علىٰ المسلمين فأثخنوا فيهم القتل، و أكرهوا أممًا منهم علىٰ الكفر، وأحرقوا الكتب، وهدموا المساجد؛ وصنعوا ما كان يكفي القليل منه لضياع هذا القرآن كلًّا أو بعضًا كما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعل بالكتب قبله؛ لولا أن يد العناية تحرسه فبقي في وسط هذه المعامع رافعًا راياته وأعلامه، حافظًا آياته وأحكامه، بل سَلْ صحف الأخبار اليومية كم من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تنفق في كل عامٍ لمحو هذا القرآن، وصد الناس عن الإسلام بالتضليل والبهتان والخداع والإغراء، ثم لا يظفر أهلها من وراء ذلك إلا بما قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال]، ذلك بأن الذي يمسكه أن يزول هو الذي يُمسك السماوات والأرض أن تزولا، ذلك بأن الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣]، والله بالغ أمره ومتم نوره فظهر، وسيبقىٰ ظاهرًا، لا يضره من خالفه حتىٰ يأتي أمر الله ومثل ذلك ما حصل في حادثة الهجرة وهو مطارد من قريش، وليس معه إلا رجل واحد، والكل يتربص به ليقتله أو يسلمه ليأخذ الجائزة، ثم يقول لسراقة: «**كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبَسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَىٰ**» ثم يتحقق هذا الأمر ويلبسهما في زمن عمر بن الخطاب[(١)].

١١ – انتشار الإسلام بسرعة:

انتشار الإسلام – بما لم يسبق له مثيل – في أقل من قرنٍ آيةٌ كبرىٰ علىٰ صدق نبوته وصحتها: فقد رحبت به القلوب، وتسابقت إليه النفوس، وعم نوره الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والشرق بالغرب. فأصبح لدولة العرب قدم في الهند، وأخرىٰ في الأندلس، وانتفع العالم دهورًا كثيرةً بما في الإسلام من النبل والبأس والنجدة والحق والهدىٰ والمدنية الصحيحة، حتىٰ نعته الغربيون بأنه أستاذ المدنية في أوربا[(٢)].

---

(١) «الطعن في القرآن الكريم».

(٢) « محمد ﷺ المثل الكامل».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢- حرصه على هداية الخلق ومغامرته بنفسه وأهله:

حسبك شاهدًا علىٰ ذلك ما لاقاه من كفار قريش بمكة، وما كان يلاقيه عند عرضه نفسه علىٰ القبائل، وما أوذي به حينما ذهب إلىٰ أهل الطائف يدعوهم إلىٰ الله: فقد خضبوا نعليه بالدماء، وأغروا به سفهاءهم.

لا ريب في أن هذا دليلٌ واضحٌ علىٰ أن الدعوة ملكت عليه حواسه وقلبه، فهان معها ما لقيه من التأنيب والتكذيب والإيذاء والإرهاب، ومحالٌ عقلًا أن يصبر داعٍ علىٰ مثل هذه الأهوال إن كان شاكًّا في أمره، أو مرتابًا في صدق دعوته[(١)].

١٣ - شدة خوفه من عظمة ربه ونسبته كل شيء إليه:

ذلك أن المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام ظل طول حياته يراقب الله ويخشاه في جميع الأمور، فإذا جاءه أمر يحبه قال: «**الحَمْدُ للهِ الذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**». وإذا أتاه أمر يكرهه قال: «**الْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**». وإن قصد فعل شيء، صلىٰ استخارة وقال: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَاسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ**»، وإن أراد سفرًا قال: «**اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ... اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ المَنْظَرِ وَسوء المُنْقَلَبِ**» وإن استيقظ قال: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيهِ النُّشُور**». وإن أكل قال: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا**»، وإذا أفطر قال: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وابْتَلَّتِ العُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ**».

وإذا انقلب من الليل إلىٰ فراشه قال: «**لَا إِلَه إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، رَبُّ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ**». وَإِذَا هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ لَيْلًا قال: «**رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وَاهْدِ للسَّبِيلِ الأَقْوَمِ**». وإذا رفع بصره إلىٰ السماء قال: «**يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ طَاعَتِكَ**». وإذا حلف قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**».

---

(١)« محمد ﷺ المثل الكامل».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من ذلك يتبين أنه ﷺ كان في جميع شئونه لا ينظر إلا إلىٰ الله، ولا يستمد المعونة إلا من الله. ولا يرىٰ لنفسه ولا لغيره حولًا ولا قوةً. ولا غرو: فمحمد ﷺ خير أسوة. وأعلىٰ قدوة[(١)].

١٤ – اهتمامه بسعادة أمته:

اهتم بدعوة الناس إلىٰ ما يسعدهم في دينهم ودنياهم حتىٰ قال الله تعالىٰ له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[فاطر:٨] واشتد حرصه علىٰ هدايتهم إلىٰ مكارم الأخلاق وتعليمهم القوانين العادلة، والشريعة الفاضلة التي رفعت أهلها إلىٰ أوج العزة والرفعة أيام كانوا متمسكين بها، ولا يسوغ في نظر العلم والعقل، أن النفس التي تكاد تهلك حرصًا علىٰ إسعاد غيرها تكون نفسًا كاذبةً، بل لابد أن تكون متعلقةً بالملأ الأعلىٰ، راسخةً في صفات الكمال ونعوت الرفعة والجلال[(٢)].

١٥ – تجرُّد نفسه من الحظوظ البشرية:

ألا ترىٰ أنه لما شُجَّ وجهه في يوم أحد وكسرت رباعيته، وحل به ما يذهب بلب الحليم، ورشد الحكيم، لم يزد علىٰ أن اعتذر لهم مما فعلوا، فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» وبهذا استحق أن يقول الله في حقه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨][(٣)].

١٦ – وصفه أمراض المجتمع ودواءه:

أُعْطِيَ محمد ﷺ من العلم بأحوال الإنسان وشؤونه ما لا يحدده العلم: فرسم لكلٍّ طريقًا تناسبه وعلَّمه كيف يعامل الله معاملة يرقىٰ بها إحساسه، ويصفو بها

(١) «محمد ﷺ المثل الكامل».
(٢) «محمد ﷺ المثل الكامل».
(٣) المرجع السابق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلبه، وهداه إلىٰ معاملته لأسرته معاملةً تستقيم بها حاله، وينعم بها عيشه، ودله علىٰ معاملة الناس علىٰ اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومعتقداتهم معاملةً يعيش بها هادئًا مطمئنًا فيما بينهم(١).

١٧- أن شريعته ﷺ اشتملت على الاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم بأكمل وجه:

ومن نظر إلىٰ هذا الكمال والشمول في شريعته ﷺ علم يقينًا أنها من الوضع الإلهي والوحي السماوي، وأن المبعوث بها نبي مرسل من الله تعالىٰ، ولا منشأ للاعتراض عليها إلا حب العناد الصرف والاعتساف(٢).

١٨ - أنه ﷺ ظهر في وقت كان الناس كلهم محتاجين إلى من يهديهم إلى الطريق المستقيم، ويدعوهم إلى الدين القويم:

فالعرب كانوا علىٰ عبادة الأوثان، والفرس علىٰ الاعتقاد بإلهين، والهند علىٰ عبادة البقر والشجر، واليهود علىٰ التشبيه والجحود وترويج الأكاذيب المفتريات علىٰ الله وعلىٰ أنبيائه، والنصارىٰ علىٰ التثليث وعبادة القديسين، وهكذا سائر أنحاء العالم في أودية الضلال، فمن حكمة الله العليم الحكيم أن يرسل في هذا الوقت أحدًا يكون رحمةً للعالمين، ولم يظهر أحد يصلح لهذا الشأن العظيم، ويؤسس هذا البنيان القويم غير محمد بن عبد الله ﷺ، فأزال ظلمة الشرك والتثليث والوثنية والتشبيه، وأشرقت شموس التوحيد علىٰ الأرض، وإليه أشار الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة](٣).

---

(١) « محمد ﷺ المثل الكامل».

(٢) «مختصر إظهار الحق لرحمة الله».

(٣) المرجع السابق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: الأدلة الكونية على نبوة النبي ﷺ:

١- **قال الله تعالىٰ:** ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أولًا: نشرح معنىٰ كلمة الرتق والفتق.

فالرتق معناه الشيء المتماسك في حين أن الفتق هو الشيء المتفكك والآية معناها أن الأرض والسماء كانتا جسمًا واحدًا ثم أخذ ينفصل بعضه عن بعض قبل أن نثبت هذا من خلال العلم الحديث.

نثبت أولًا أن لهذا الكون بداية، فقد أعلنت وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية (ناسا) أن عُمْرَ الكون (٧: ١٣) مليار سنة ضوئية وذلك من خلال استعمال مجسات فضائية متطورة جدًّا ومناظر إلكترونية محمولة علىٰ أقمار صناعية وهذا الاكتشاف إقرار من الوكالة بأنه كان لهذا الكون بداية.

ثانيًا: اكتشف أن العناصر التي تكونت منها قشرة الأرض هي نفسها العناصر التي تتكون منها النجوم والشهب والكواكب وذلك خلال دراسة الأطياف الضوئية التي تصدر عن بعض ذرات العناصر التي تتكون منها النجوم والشهب ومقارنتها مع الأطياف اللونية التي تصدر عن العناصر والذرات في الأرض.

وعندما صعد الإنسان إلىٰ القمر ومشىٰ فوق سطحه وجاء بعينات من الصخور التي علىٰ السطح ومن الصخور الموجودة تحت السطح وعادوا بها إلىٰ الأرض، وإذا بهم يكتشفون أن سطح القمر مكون من نفس عناصر سطح الأرض وأن صخور القمر في تركيباتها هي نفس صخور الأرض وأنهما من أصلٍ واحدٍ[(١)].

يقول الدكتور ألفريد كرونر من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا: مستحيل أن

(١) «الموسوعة الذهبية» لأحمد مصطفى متولي (ص١٤: ١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تكون هذه الحقائق قد ذكرت في أي كتاب منذ أربعة عشر قرنًا إننا لم نصل إلىٰ هذه الحقيقة العلمية إلا منذ سنوات وباستخدام وسائل علمية متقدمة جدًّا وبعد دراسات معقدة طويلة خاصة بعلم الطبيعة النووية(١).

ويقول الدكتور روجر (من علماء أمريكا في الفلك وفي الأرصاد): كل الدلائل والأدلة تثبت أن الأرض والسماء كانتا جسمًا واحدًا ثم أخذ ينفصل بعضه عن بعض(٢).

إن نظرية لابلاس وهي نظرية في خلق الأرض تقرر أن الأرض والشمس ومختلف الكواكب والأجرام إنما كانت سديمًا في الفضاء وأن الأرض انفصلت عن هذا السديم وتؤيد هذه النظرية أدلة كثيرة منها: شدة حرارة باطن الأرض إذ ترتفع درجة حراراتها درجةً واحدةً كلما نزلنا إلىٰ باطنها ثلاثة وثلاثين مترًا؛ أي: بعد ثلاثين كيلو مترًا تزيد درجة حرارة باطن الأرض عن قشرتها ألف درجة مئوية.

ومن هذه الأدلة أيضًا البراكين التي تظهر وتُشاهد في أنحاء شتىٰ من الكرة الأرضية والتي هي عبارة عن ضعف في القشرة الأرضية تغلبت عليه الأبخرة والغازات الملتهبة في جوف الأرض فشقت لها طريقًا مُنشئةً فوهة بركانٍ تقذف منه الحمم الذائبة علىٰ ارتفاعٍ شاهقٍ ولمدَدٍ طويلةٍ، ومما يؤكد حرارة باطن الأرض كذلك العيون الأرضية ذات الماء الساخن والعيون الغائرة ذات الماء الشديد الحرارة.

وبتقدم العلم أمكن معرفة العناصر المكونة للشمس بتحليل الطيف فلكل عنصرٍ عند احتراقه لون خاص به فوجد أنها تتكون من نفس العناصر التي تتكون منها الأرض بل اكتشفت عناصر الشمس قبل اكتشاف وجودها في الأرض.

وبذلك قرر العلم أن الأرض والشمس والنجوم؛ أي: السماء والأرض وما فيها إنما كانت سديمًا انفصل إلىٰ أجزاء وقد سبق القرآن الكريم هذا العلم بعشرات

---

(١) «الأدلة الهادية» للشعراوي (ص١٢٥).

(٢) «الموسوعة الذهبية» (ص١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المئات من السنين[١].

ويقول موريس بوكاي: «نلاحظ -على كل حال- أن تكوين الأجرام السماوية والأرض فيما يخبرنا به القرآن الكريم قد تم في مراحل وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

ونلاحظ أيضًا أن العلم الحديث يطلعنا على أن تكوين الشمس وتكوين الأرض كتابع لها قد تم من خلال تكاثف السديم الأولي في مراحل استغرق كل منها قرونًا من الزمان حتى تم انفصال الأرض في مدار لها حول الشمس وهو نفس الشيء الذي عبر عنه القرآن الكريم بشكلٍ صريحٍ عندما أشار إلى عملية خلق السماء من دخان رتقًا ثم فتقًا ومن هنا نستطيع أن نؤكد التطابق بين حقائق القرآن وحقائق العلم الحديث[٢].

٢- قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت:١١]. هذه الآية تبين أن السماء كان أصلها دخانًا.

وقد قامت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) في عام ١٩٨٩ بإرسال مركبة فضائية باسم مستكشف الخلفية الكونية أو كوبي، وذلك لدراسة الخلفية الإشعاعية للكون من ارتفاع يبلغ ستمائة كيلو مترًا حول الأرض، وقد قاست تلك المركبة درجة الخلفية الإشعاعية للكون وقدَّرتها بأقل من ثلاث درجات مطلقة أي بحوالي (٢،٧٣٥ =٦ ٠،٠ من الدرجات المطلقة) وقد أثبتت هذه الدراسة تجانس مادة الكون وتساويها التام في الخواص قبل الانفجار وبعده، أي من اللحظة الأولى

(١) «الله والعلم الحديث» لعبد الرازق نوفل (ص١٤٦-١٤٧).

(٢) «التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث» (ص١٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لعملية الانفجار الكوني العظيم وانتشار الإشعاع مع احتمال وجود أماكن تركزت فيها المادة الخفية التي باسم المادة الداكنة بعد ذلك، كذلك قامت المركبة الفضائية بتصوير بقايا الدخان الكوني الناتج عن عملية الانفجار العظيم علىٰ أطراف الجزء المدرك من الكون.

وأثبتت أنها حالة دخانية معتمة سادت الكون قبل خلق السماوات والأرض وقد سبق القرآن الكريم جميع المعارف الإنسانية بوصف تلك الحالة الدخانية منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، يقول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت:١١][(١)].

يقول موريس بوكاي: وجود حالة مرحلية من مراحل تكون العالم علىٰ شكل دخان التي أشار إليها القرآن الكريم مما يعني مرحلة أولية غازية للمادة التي نشأ منها الكون يتسق تمام الاتساق مع المفهوم العلمي الذي مؤداه وجود المادة السديمية الأولية التي تكون منها العالم في نشأته الأولىٰ كما يقدمها لنا العلم الحديث[(٢)].

وعندما قرأ البروفيسور يوشيدي كوزاي مدير مرصد طوكيو هذه الآية قال: العلم لم يصل إلا منذ فترة بسيطة جدًّا إلىٰ أن السماء كانت دخانًا وقد أصبح هذا شيئًا مشهودًا ومرئيًّا الآن بعد إطلاق سفن الفضاء والأقمار الصناعية وعرض صورًا التقطت لنجم في السماء وهو يتكون وقد بدا كتلةً من الدخان في وسطها تكوَّن الجزء المضيء من النجم وحوله الدخان وتحيط بالدخان حافة حمراء دليل علىٰ ارتفاع درجة الحرارة.

وقال: لقد كنا نعتقد منذ سنوات فقط أن السماء كانت ضبابًا ولكننا عرفنا الآن بعد التقدم العلمي بأنها ليست ضبابًا ولكنها دخان؛ لأن الضباب خامد وبارد

---

(١) «الموسوعة الذهبية» (ص١٤).

(٢) كتاب «التوراة والإنجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث» (ص١٩٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والدخان حار وفيه حركة وهذا يدل علىٰ أن السماء كانت دخانًا، وقال: إنني متأثر جدًّا باكتشاف هذه الحقيقة في القرآن(١).

٣- **قال تعالىٰ:** ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات].

الآية معناها أن السماء تتسع وهذا موافق للعلم فقد أعلن عالم الفلك الأمريكي المشهور هابل في عام ١٩٢٩ أن المجرات تتباعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات وتخضع لعلاقة طردية مباشرة بين المسافة والزحزحة الطيفية نحو اللون الأحمر واستنتج وفقًا لظاهرة دوبلر أن الكون يتمدد، ولقد تمكن هابل في عام ١٩٣٠ من إيجاد هذه العلاقة وسميت باسمه وهي تنص علىٰ أن سرعة ابتعاد المجرات الخارجية تتناسب طرديًّا مع بعدها عنا، وتفسير قانون هابل هو أن الأجرام السماوية في الكون تبتعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات أي أن الكون في حالة تمدد أينما كان موقعنا في الكون(٢).

ويقول موريس بوكاي: إن التمدد في الكون هو أعظم اكتشافٍ علميٍّ في العصر الحديث ولقد ثبتت لدىٰ العلماء هذه الحقيقة ثبوتًا تامًّا وأصبحت المناقشات بصددها تدور حول مدىٰ وكيفية هذا التمدد في الكون.

وإذا كانت نظرية النسبية هي التي قادت إلىٰ الوصول إلىٰ اكتشاف هذه الحقيقة فلقد أكدتها دراسات طيف المجرات، إذ إن الانتقال المنتظم نحو اللون الأحمر من ألوان الطيف يعزي إلىٰ تباعد إحدىٰ المجرات عن المجرات الأخرىٰ، وما دام هذا التباعد بين المجرات مستمرًّا فإن التمدد في الكون لا يكف عن الحدوث والسرعات التي تتحرك بها الأجرام السماوية تتراوح بين سرعة الضوء وبين أجزاء من سرعة الضوء.

إذن هل يمكن أن نجد في القرآن الكريم آيةً تشير إلىٰ هذه الحقيقة العلمية التي

---

(١) كتاب «الأدلة الهادية» للشعراوي (ص١٣١).

(٢) «الموسوعة الذهبية» (ص١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعتبر من أحدث حقائق علم الفلك؟

نعم إننا نجد في القرآن الكريم آيةً تشير إلىٰ هذه الحقيقة العلمية التي تعتبر من أحدث حقائق علم الفلك وذلك في قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الذاريات:٤٧].

ألا تعني السماء هنا بالتحديد الكون خارج الأرض؟ وموسعون: اسم فاعل للفعل أوسع أي زاد الاتساع وجعل الشيء أكثر عرضًا وأكثر رحابةً[(١)].

٤- قال تعالىٰ: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾[النازعات:٢٧-٢٩].

تأمل قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا ﴾تدل علىٰ أن السماء لها ليلٌ خاصٌّ يختلف عن ليل الأرض فقد اكتشف العلماء أن ليل السماء حالك السواد، لذا ناسب هذا الوصف الجميل اللفظ القرآني البلاغي، ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا ﴾بدلًا من أظلم ليلها.

يقول الدكتور روجر: بعد الانفصال انفصلت الأرض عن السماء فارتفعت السماء بعد هذا، وتجمعت النجوم والمادة التي تجمع النجوم ثم أضاءت واشتد ضوء السماء، والمناطق التي انفصلت منها هذه المادة أظلمت واشتد ظلامها فخرج النور واشتد الظلام بعد أن رفعت السماء عن الأرض وتباعدت وإلىٰ هذا تشير الآية ﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾[النازعات]. ﴿ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا ﴾ أي: أظلم ليلها. ﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ أي: أخرج منها هذا النور.

اكتشف العلم حديثًا أن الضوء في ذاته لا يُرىٰ وإنما يظهر أثره منعكسًا علىٰ المرئيات وأنه ليس فوق الأرض ما يعكسه لخلوه من الهواء، فلابد أن تكون السماء مظلمةً حالكةً بالنهار إذ ليس فيها ما يعكس الضوء إلىٰ عين راء لو علا جو الأرض، ثم جاء رواد الفضاء في السفينة الفضائية أبولو فشاهدوا السماء حالكة

(١) كتاب «التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث» (ص٢١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السواد فعلًا وأرسلوا صورةً تثبت ذلك[١].

٥ - **قال الله تعالىٰ:** ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

يقول العلماء: إن الكون يتسع من الضربة الكبرىٰ ولا يوجد دليل بأنه سيتمدد للأبد بل إنهم يعتقدون أنه سوف يتباطأ تمدده تدريجيًّا ثم يقف وبعدها ينقلب علىٰ نفسه ويبدأ في التراجع في حركة تقهقرية، وهذا مصداق لقول الله تعالىٰ، والقرآن الكريم يخبرنا أكثر عن هذا فيصف لنا حركته علىٰ أنها حركة حلزونية وذلك من خلال تشبيهها بحركة طي السجل للكتب، والسجل هو ورق البردي الذي كان يكتب عليه فكان يطوىٰ بحركةٍ حلزونيةٍ تدور حول محور البدء وهذا إعجاز كوني عظيم لم يكتشفه علماء الفلك إلا بعدما قاموا بتصوير المجرات التي يتكون منها الكون، فوجدوا أنها تتباعد بحركةٍ حلزونيةٍ عن بعضها، كما أن كل المجرات تتوسع وتتباعد نجومها عن بعضها البعض بحركةٍ متباعدةٍ حلزونيةٍ تشبه حركة فتح كتاب ورق البردي القديم من أجل القراءة بعدما كان مطويًّا وأنها تدور حول محورٍ ثابتٍ، هو محور المجرة، كما أن المجرات كلها أيضًا تدور بحركةٍ حلزونيةٍ حول محورٍ ثابتٍ، ويقول العلماء: إن الكون سوف ينكمش علىٰ نفسه بفعل قوىٰ رد الفعل وقوىٰ الجذب الداخلي علىٰ نفسه فينكمش بشكل يعاكس شكل التمدد ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[٢] [الأنبياء].

٦ - **كروية الأرض:** قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النازعات]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ [الحجر:١٩، ق:٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ

---

(١) «الموسوعة الذهبية» (ص١٨).

(٢) «الموسوعة الذهبية» (٤٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأعراف].

فقد قرر القرآن الكريم في هذه الآيات أن الأرض كروية.

فالآية الأولىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النازعات] فالدحية هي البيضة فالدول العربية تسمي البيضة الدحية، فكأن الله ﷻ يحدد شكل الأرض بالبيضة وقد كان أصدق وصفٍ علميٍّ لشكل الأرض ما قيل من أنها كرويةٌ منبعجةٌ من الوسط حتىٰ أذاعت معاهد الإرصاد الجوية والفلك أخيرًا أن العلماء قد قرروا أن قطبي الأرض مختلفان في الصلابة وأن أحدهما أكثر سيولةً من الآخر، فبدوران الأرض حول نفسها يكون الصلب أكثر استدارة من الآخر، وعليه فإن الأرض تشبه البيضة تمامًا وبعد أن خرجت الأقمار الصناعية وصورت الأرض من خارجها أعلنت الجهات العلمية أن الأرض أشبه بحبة الكمثرىٰ وأن أقرب الأشكال إليها هو شكل البيضة وهكذا يكتشف ما في القرآن من أسرارٍ علميةٍ(١).

الآية الثانية: قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ [الحجر:١٩، ق:٧].

أي: بسطناها. أقال أيَّ أرضٍ؟ لا لم يحدد أرضًا بعينها بل قال: الأرض علىٰ إطلاقها، ومعنىٰ ذلك أنك إذا وصلت إلىٰ أي مكان يسمىٰ أرضًا تراها أمامك ممدودةً؛ أي: منبسطةً فإذا كنت في خط الاستواء فالأرض أمامك منبسطةٌ وإذا كنت في القطب الجنوبي أو في القطب الشمالي أو في أمريكا أو أوربا أو في أفريقيا أو آسيا أو في أي بقعةٍ من الأرض فإنك تراها أمامك منبسطةً ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كرويةً، فلو كانت الأرض مربعةً أو مثلثةً أو مسدسةً أو علىٰ أي شكلٍ هندسيٍّ آخر فإنك تصل فيها إلىٰ حافة لا ترىٰ أمامك الأرض منبسطةً ولكنك ترىٰ حافة الأرض ثم الفضاء، ولكن الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن تكون فيه الأرض ممدودةً في كل بقعة تصل إليها هي أن تكون الأرض كرويةً، حتىٰ إذا بدأت

(١) كتاب «الله والعلم الحديث» لعبد الرازق نوفل (١٤٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من أي نقطةٍ محددةٍ علىٰ سطح الكرة الأرضية ثم ظللت تسير حتىٰ عدت إلىٰ نقطة البداية فإنك طوال مشوارك حول الأرض ستراها أمامك دائمًا منبسطةً، وما دام الأمر كذلك فإنك لا تسير في أي بقعة علىٰ الأرض إلا وأنت تراها أمامك منبسطة(١).

الآية الثالثة: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف].

والمعنىٰ أن أمر الله إذا أتىٰ سيكون في جزء من الأرض ليلًا وفي جزء آخر ضحًىٰ، فالليل والنهار موجودان إذًا في كل لحظة ولا يتأتىٰ ذلك إلا إذا كانت الأرض كرويةً(٢).

٧ - انشقاق القمر:

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر:١].

هذه الآية من أعظم الآيات الدالة علىٰ صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ فقد طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل علىٰ صحة ما جاء به وصدقه، فأشار ﷺ إلىٰ القمر فانشق بإذن الله فلقتين: فلقة علىٰ جبل أبي قبيس وفلقة علىٰ جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية العظيمة الكائنة في العالم العلوي التي لا يقدر الخلق علىٰ التمويه بها والتخييل، فشاهدوا أمرًا ما رأوا مثله بل ولم يسمعوا أنه جرىٰ لأحدٍ من المرسلين قبله نظيره.

وهذه الآية قد كانت سبب إسلام داود موسىٰ بيتكوك وهو رئيس الحزب الإسلامي البريطاني (سابقًا) يقول: إنه أثناء بحثه عن ديانة أهداه صديقه ترجمةً لمعاني القرآن بالإنجليزية، فتحها فإذا بسورة القمر فقرأ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ فقال: هل ينشق القمر؟ ثم ترك المصحف ولم يقرأه ثانية.

---

(١) كتاب «الأدلة الهادية» للشعراوي (ص٩٦).

(٢) كتاب «الله والعلم الحديث» لعبد الرازق نوفل (ص١٤٨-١٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي يومٍ من الأيام وهو جالس أمام التلفاز البريطاني ليشاهد برنامجًا علىٰ الـ بي بي سي يحاور فيه المذيع ثلاثة من العلماء الأمريكان وكان يعتب عليهم أن أمريكا تنفق الملايين بل المليارات في مشاريع غزو الفضاء في الوقت الذي يتضرر فيه الملايين من الفقر، فظل العلماء يبررون ذلك أنه أفاد كثيرًا في جميع المجالات الزراعية والصناعية.....إلخ ثم جاء ذكر أحد الرحلات تكلفة فقد كانت علىٰ سطح القمر، وكلفت حوالي ١٠٠ مليار دولار فسألهم المذيع: لكي تضعوا علم أمريكا علىٰ سطح القمر تنفقون هذا المبلغ؟ رد العلماء أنهم كانوا يدرسون التركيب الداخلي لهذا التابع لكي يروا مدىٰ تشابهه مع الأرض ثم قال أحدهم: فوجئنا بأمرٍ عجيبٍ هو حزام من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلىٰ جوفه إلىٰ سطحه فأعطينا المعلومات إلىٰ الجيولوجيين فتعجبوا وقرروا أنه لا يمكن أن يحدث ذلك إلا أن يكون القمر قد انشق في يوم من الأيام ثم التحم وأن تكون هذه الصخور المتحولة ناتجةً من الاصطدام لحظة الالتحام ثم يستطرد داود موسىٰ بيتكوك: قفزت من علىٰ المقعد وهتفت: معجزة حدثت لمحمد عليه الصلاة والسلام من أكثر من ١٤٠٠ سنة في قلب البادية يُسَخِّرُ الله الأمريكان لكي ينفقوا عليها مليارات الدولارات حتىٰ يثبتوها للمسلمين، أكيد أن هذا الدين حق وكانت سورة القمر سببًا في إسلامه كما كانت في السابق سبب إعراضه عن الإسلام[(١)].

٨ – **قال الله تعالى:** ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل].

قال الله تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمن].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج].

قال المفسرون في قوله تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ المراد منه: جنس المشارق والمغارب وفي قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء.

---

(١) «الموسوعة الذهبية» (ص٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحديثًا أظهر العلم أن الأرض تتم دورتها حول الشمس في ٣٦٥ يومًا وربع يوم كذلك يسبب ميل محور دوران الأرض عن المحور الرأسي اختلاف فصول السنة، ومن ثم اختلاف مكان ووقت شروق الشمس وغروبها علىٰ الأرض علىٰ مر العام، إذن يتغير المشرق والمغرب كل يوم تغيرًا طفيفًا، أي أن الشمس تشرق وتغرب كل يوم من مكان مختلف علىٰ مر السنة وهذا بدوره؛ يعني: وجود مشارق ومغارب بعدد أيام السنة وليس مشرقين ومغربين اثنين فقط وإن بدا الاختلاف بين مشرقي الشمس ومغربها أكثر وضوحًا في الشتاء والصيف فقد يكون إذن مشرقا الشمس ومغرباها في الشتاء والصيف هما المقصودين في قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾[1].

وهنا لابد من توضيح أمرٍ مهمٍّ هو أن الصلاة مستمرةٌ في الأرض ليلًا ونهارًا فالظهر في مصر له توقيت وبعد دقائق في بلدة أخرىٰ وبعد دقائق في بلدة ثالثة ونصف الأرض نائم والنصف الثاني يسبح الله وبعض الناس يصلون الفجر وفي نفس اللحظة غيرهم يصلون الظهر وفي نفس اللحظة غيرهم يصلون العصر وفي نفس اللحظة غيرهم يصلون العشاء وهكذا بحيث لا ينقطع عن العالم أجمع ثانية واحدة ليست فيها ذكر الله[2].

٩ - السنة القمرية والسنة الشمسية:

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[الكهف].

يقص الله ﷻ قصة أهل الكهف ويخبر رسوله الأمين أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا.

فما هي العلاقة بين الثلاثمائة سنة والثلاثمائة وتسع؟ لقد وردت هذه الآية من أربعة عشر قرنًا والآن نسمع ما يقوله العلم في العصر الحديث: تبلغ السنة الشمسية

(١) «الموسوعة الذهبية» (ص٦٤-٦٥).

(٢) كتاب «معجزة القرآن» للشعراوي (ص٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهي التي تسمىٰ بالانقلابية؛ لأنها عبارة عن مدة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد ٣٦٥،٢٤٢،٢١٧ يومًا شمسيًّا ينتج بمرورها الصيف والخريف والشتاء والربيع، السنة القمرية تتكون من ٦٧ ،٠ ٣٦٧، ٣٥٤ يومًا وهي المدة بين كسوفين متواليين مقسومة علىٰ عدد حركات القمر الدائرية. فالفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية ١٤٩، ٨٧٥، ١٠ يومًا وبذلك يكون في كل ٣٣ سنة فرق قدره ٩١٧، ٨٧٩، ٣٥٨ يومًا أو ما يقرب من السنة، وعليه تزيد كل مائة سنة ثلاث سنين وتكون ٣٠٠ سنة شمسية يقابلها ٣٠٩ سنوات قمرية هذا هو علم العصر الحديث وهذا ما قرره القرآن منذ أربعة عشر قرنًا[(١)].

ثالثًا: الأدلة العلمية على نبوة سيدنا محمد ﷺ:

١ – **يقول الله تعالىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون].

ويقرر الدكتور كيث مور أكبر علماء الأجنة ورئيس قسم التشريح والأجنة بجامعة تورنتو بكندا بأن الآيات التي ذكرت في القرآن الكريم عن خلق الإنسان توافق فعلًا ما اكتشفه العلم عن مراحل خلق الإنسان فهذه الآيات تذكر أولًا أن خلق الإنسان من طين ومعنىٰ ذلك أنها حددت المادة الأولىٰ التي خلق الله منها الإنسان وهي الطين، والطين موجود في كل مكانٍ في الأرض، والعلماء أخذوا الطين وحللوه فوجدوه يتكون من ثمانية عشر عنصرًا منها الحديد والبوتاسيوم وغير ذلك من المواد ثم درسوا جسم الإنسان فوجدوه يتكون من نفس هذه المواد الثمانية عشر التي يتكون منها الطين وهكذا جاءت الحقيقة الأولىٰ حقيقة مشاهدة معملية لا تخضع للجدل ثم بدأ القرآن في وصف خلق الإنسان في بطن أمه فتقول

(١) كتاب «الله والعلم الحديث» (ص١٥٤-١٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ [المؤمنون]. والقرار المكين هو رحم الأم ثم تأتي مسألة العلقة فيقول الدكتور كيث مور: إن الجنين عندما يبدأ في النمو في بطن أمه يكون شكله يشبه العلقة أو الدودة وعرض صورةً بالأشعة لبداية خلق الجنين ومعها صورة للعلقة فظهر التشابه واضحًا بين الاثنين ولما قيل له: إن العلقة عند العرب معناها الدم المتجمد ذهل وقال: إن ما ذكر في القرآن ليس وصفًا دقيقًا فقط لشكل الجنين الخارجي ولكنه وصفٌ دقيقٌ لتكوينه، ذلك أنه في مرحلة العلقة تكون الدماء محبوسةً في العروق الدقيقة في شكل الدم المتجمد.

فإذا جئنا إلىٰ المرحلة الثانية في قوله تعالىٰ: ﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ فإن القرآن الكريم جاء بالوصف الدقيق، فعندما عرضت صورة الأشعة المأخوذة لجنين وهو في مرحلة المضغة وصورة قطعة من الصلصال أو اللبان الممضوغ وجد الشكل واحدًا، ثم ظهرت صورة الأشعة التي التقطت للجنين في مرحلة المضغة، فوجدت فيها تجويفات تشبه علامات الأسنان.

بل إن الله ﷻ قد تجاوز مرحلة الشكل الخارجي إلىٰ التكوين الداخلي فقال جل جلاله في سورةٍ أخرىٰ من القرآن الكريم: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[الحج:٥].

وعندما جيء بالمضغة الآدمية في بطن الأم وطولها سنتيمتر واحد وتم تشريحها تحت الميكروسكوب الإلكتروني وجد أن بعض أجهزة الجنين تتخلق وبعضها لم يتخلق.

ولو أن القرآن الكريم قال: مضغة مخلقة لكان ذلك لا يطابق حقيقة التكوين؛ لأن فيها أجزاء غير مخلقة.

ولو قال القرآن الكريم: مضغة غير مخلقة لكان ذلك لا يطابق حقيقة التكوين؛ لأن فيها أجزاء مخلقة.

ولقد عرض العالم الكندي كيث مور كل أطوار الجنين في بطن أمه والتي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التقطت بأحدث الأجهزة فإذا هي تنطبق تمامًا علىٰ كل ما ذكر في القرآن الكريم من مراحل العظام واللحم إلىٰ غير ذلك.

وهذه المراحل هي: ١- أصل الإنسان (سلالة من طين).

٢ – النطفة.

٣ – العلقة.

٤ – المضغة.

٥ – العظام.

٦ - الكساء باللحم.

٧ - النشأة.

وقد اعتبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة والذي عقد في موسكو أيلول ١٩٩٥ هذا التقسيم القرآني لمراحل خلق الجنين وتطوره صحيحًا ودقيقًا وأوصىٰ في مقرراته علىٰ اعتماده كتصنيفٍ علميٍّ للتدريس.

وهذا البروفيسور مارشال جونسون رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال بجامعة توماس جيفرسون بفلاديفيا بأمريكا في المؤتمر السعودي السابع يقول: إنني كعالمٍ أستطيع فقط أن أتعامل مع أشياء أستطيع أن أراها، أستطيع أن أفهم علم الأجنة وتطور علم الأحياء، أستطيع أن أفهم الكلمات التي تترجم من القرآن وكما ضربت لكم مثلًا من قبل، فلو أنني نقلت نفسي ـ فرضًا ـ إلىٰ الفترة التي نزل فيها القرآن وحتىٰ بمعرفتي لما ذكرته اليوم وإذا أردت وصف هذا العمل لما استطعت وصف الأشياء التي وصفت بالقرآن وأنني لا أرىٰ شيئًا ولا أرىٰ دليلًا علىٰ أن الرسول محمد الفرد قد حصل علىٰ هذه المعلومات وطورها من أي جهة كانت، ولذلك فإنني لا أرىٰ شيئًا مع مفهوم أن التدخل الإلهي كان شاملًا للعلم الذي كان علىٰ النبي محمد أن يبلغه....

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال مكررًا: نعم إنه الوحي والوحي فقط من الله ﷻ[1].

٢ - **يقول الله تعالىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [النساء].

إن القرآن في هذه الآية يقرر هنا أن الأعصاب موجودة تحت الجلد، وأنه إذا احترق الجلد لا يحس الإنسان بالألم فلذلك يبدل الله جلودهم ليذوقوا العذاب.

يقول علماء التشريح: ليس الجسم كله حساسًا بل الجلد فقط بدليل أنك لو جئت بإبرةٍ ووضعتها في جسم الإنسان فإنها بعد أن تدخل من جلد الإنسان إلىٰ اللحم لا يتألم، ثم شرحوا هذا تحت المجهر فوجدوا أن الأعصاب تتركز في الجلد ووجدوا أن الأعصاب متعددةٌ ومتنوعةٌ فمنها ما يحس بالحرارة ومنها ما يحس بالبرودة ووجدوا أن أعصاب الإحساس بالحرارة والبرودة لا توجد إلا في الجلد فقط، وعليه إذا دخل الكافر النار يوم القيامة وأكلت النار جلده بدَّل الله جلده ليذوق العذاب.

ولقد أعلن البروفيسور تاجاثات تاجاسون وهو من أكبر علماء التشريح إسلامه عندما عرضت عليه هذه الآية.

ففي المؤتمر الطبي الثامن المقام في السعودية قد سأله أحد العلماء في مجال تخصصه أسئلةً منها السؤال المتعلق بالجلد وهو: هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق؟ قال: نعم إذا كان الحرق عميقًا ودمر عضو الإحساس بالألم، قيل له: ما رأيك إذن في أن القرآن الكريم الذي أنزل علىٰ محمد ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام قد أشار إلىٰ تلك الحقيقة العلمية عندما ذكر الطريقة التي يعاقب الله بها الكافرين يوم القيامة حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [النساء].

---

(١) كتاب «نظرات في الكون والقرآن» لعبد الهادي ناصر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالقرآن يقرر هنا أن الأعصاب موجودةٌ تحت الجلد وأنه إذا احترق الجلد لا يحس الإنسان بالألم فلذلك يبدل الله جلودهم ليذوقوا العذاب.

فاندهش البروفيسور تاجاثات تاجاسون بهذا الكلام وقال: هذا أمر يدعو للدهشة والغرابة، فتلك معرفةٌ مبكرةٌ جدًّا عن مراكز الإحساس والأعصاب في الجلد ولا أدري كيف ذكر قرآنكم هذا ثم سئل: ترىٰ أيمكن أن يكون محمد نبي الإسلام استقاها من مصدر بشري؟ قال: بالطبع لا، ففي ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع، قالوا له: من أين إذن وكيف عرف ذلك؟ قال: المؤكد عندي هو استحالة أن يكون استقاها من مصدر بشري، ولكني أسألكم من أين تلقىٰ محمد هذه المعلومات الدقيقة؟

قالوا: من عند الله؟ قال: الله ومن هو الله هذا؟ وقد شرحوا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة.

وفي ختام المؤتمر وقف البروفيسور تاجاثات تاجاسون يقول: بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة فإنني أؤمن بأن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن التدليل علىٰ صحته بالوسائل العلمية وحيث أن محمد نبي الإسلام كان أميًّا إذن لابد وأنه قد تلقىٰ معلومات عن طريق الوحي من خالقٍ عظيمٍ بكل شيء، وإنني أعتقد أنه حان الوقت لأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله[(١)].

٣ - **يقول الله تعالىٰ:** ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر].

تفسير الآية هو أن الله ﷻ المنفرد بالتصرف بالعباد في حال يقظتهم ونومهم وفي حال حياتهم وموتهم فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ وهذه الوفاة الكبرىٰ

(١) «الأدلة الهادية على وجود الله» (ص١٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفاة الموت، وقوله: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾وهذه هي الموتة الصغرىٰ أي ويمسك النفس التي لم تمت في منامها ﴿فَيُمْسِكُ ﴾من هاتين النفسين النفس ﴿ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾وهي نفس من كان مات أو قضىٰ أن يموت في منامه ﴿وَيُرْسِلُ ﴾النفس ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾أي: إلىٰ استكمال رزقها وأجلها.

يقول البروفيسور البريطاني آرثر أليسون (عبد الله أليسون بعد إسلامه): في بحث حول النوم والموت في ضوء هذه الآية: إن الموت والنوم عملية متشابهة تخرج فيها النفس وتعود في حالة النوم ولا تعود في حالة الموت، فالآية تذكر أن الوفاة تعني الموت وأن الموت وفاة غير راجعة والنوم وفاة راجعة ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾الله يمسك النفس في حالة الموت وهذه وفاة غير راجعة، ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾أي: ويرسل الأخرىٰ إلىٰ أجلٍ مسمىٰ يرجع النَّفْسَ التي لم تَمُتْ إلىٰ أجلٍ مسمىٰ، ولقد ثبت ذلك من خلال الدراسات البارا سيكولوجية وهي دراسات تتعلق بثلاث مجالات رئيسية: مجال ما يسمىٰ بتجارب خارج الجسم، ومجال يسمىٰ حالات الغيبوبة التي تشابه الموت، ومجال ثالث وهو نوع من الأحلام يحلم فيه المرء وهو يعرف أنه حلم.

بالنسبة لما يسمىٰ بتجارب خارج الجسم: بعض الناس يمكنهم الخروج خارج أجسامهم، فيرون جسمهم من مكان آخر ملقًىٰ علىٰ الفراش ويسمونها حالات الشعور خارج الجسم وقد دلت بعض التجارب العلمية الإحصائية علىٰ أن من ١٠ ٪ إلىٰ ٢٠ ٪ من الحالات التي أجريت عليها البحوث كانت تمارس ذلك.

المجال الثاني: الذي يسمىٰ حالات الغيبوبة التي تشابه الموت فقد يعلن البعض موت شخص بما تؤكده الفحوص الإكلينيكية (السريرية) ذلك أن رسم المخ يؤكد أن المخ قد وقف، وكذلك رسم القلب يؤكد توقفه، وكذلك يقف تنفس الإنسان مما يجعل الطبيب يعلن موت شخص حسب تلك المقاييس الطبية المستخدمة وببعض المساعدات الطبية يعود إليه وعيه مرة أخرىٰ فيصحو وكأنه كان في غيبوبة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والذي يدخل في مثل هذه الحالة يعود بعد صحوة فيخبرنا عن أمور مدهشة تستحق الدراسة المتأنية علميًّا وعلىٰ ضوء القرآن والسنة النبوية المطهرة(١).

المجال الثالث: الأحلام وهذه التجارب وغيرها أكدت لنا أن عملية النوم هي خروج شيء معين من الإنسان سماه الله النفس.

وقد وقف البروفيسور عبد الله إليسون في المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي الأول حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ليعلن أمام الجميع أن الإسلام هو دين الحق دين الفطرة التي فطر الناس عليها جميعًا ثم قام واغتسل ونطق بالشهادتين أمام الجميع قائلًا في صوتٍ واضحٍ قويٍّ مؤمن: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله(٢).

٤- العسل شفاء ودواء: يقول الله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل].

يقول القرآن الكريم في سورة النحل إنه يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه، وفيه شفاء للناس، وعمم الشفاء، ولم يُعرف قدر هذه الآية العلمية التي تعتبر دليلًا ما بعده دليل علىٰ معجزة القرآن العلمية إلا في السنين الأخيرة...فقد جاءت الأخبار تتوالىٰ وتتواتر من مختلف أنحاء العالم علىٰ ما في العسل من أعاجيب في الطب الوقائي والعلاجي إذ أثبتت التحاليل الطبية أنه يحتوي علىٰ ما يقرب من نصفه من سكر العنب أو الجلوكوز وهذه الكمية من الجلوكوز تعتبر أكبر نسبة وجدت لهذا النوع من السكر في العسل دون أي غذاء آخر.

وقد توصلت الباحثة الأمريكية جوليا تشرش في أواخر عام ١٩٥٤ بعد تجارب متعددة علىٰ الخنازير الغينية إلىٰ إثبات وجود مادة مجهولة في عسل النحل،

(١) كتاب «من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان» (ص٩٢-٩٩) باختصار.

(٢) كتاب «من عالم الشهرة إلى عالم الإيمان» لأسماء الجهيني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشمعه له القدرة علىٰ علاج تصلب المفاصل، ووجدت أن العسل المستخرج من القرص مباشرة (دون تسخين أو أي معالجة صناعية أخرىٰ) يعمل علىٰ القضاء علىٰ تصلب الرسغين الذي يصيب الإنسان، وقد تبين أن الخنازير الغينية التي تنقصها هذه المادة المجهولة، أو فيتامين (س) تتأثر أشكال عظامها تمامًا كما يحدث للآدميين المصابين بالتهاب المفاصل.

وقد اتجهت الأبحاث العلمية التي تجرىٰ علىٰ النحل وعسله إلىٰ دراسة سم النحل إذ تقوم حاليًا بعض المؤسسات الطبية باستخراج سم النحل الذي يفرزه عن طرق آلة اللسع لاستعماله في معالجة بعض الأمراض المستعصية.

وقد وردت الصحف في ١٠ فبراير ١٩٥٦ ونقلًا عن أخبار لندن أنه توجد بها امرأة نمساوية تدعىٰ مسز أوين تداوي المرضىٰ الذين يئس الأطباء من شفائهم بقرصة النحل، وقد أثار خبر هذه السيدة اهتمامًا كثيرًا في أوساط لندن ولا سيما أن نتائج معالجتها قد أدت إلىٰ الشفاء.

وقد صرح مسئول عن الهيئات الطبية البريطانية أن عقصة النحل قد استعملت في الطب قديمًا وهي ما زالت تستعمل في فينا وقد ورد في عدد مجلة بريروار السوفيتية الصادر في يناير ١٩٥٦ مقال طويل تحدث عن انتشار المداواة بقرص النحل في الاتحاد السوفيتي وأنها موضع اهتمام الأطباء السوفيت.

ومن الأخبار العلمية التي نشرت في صحف ٦ مارس ١٩٥٦ أن أحد كبار الجراحين في مستشفىٰ نورفولك الإنجليزي استخدم عسل النحل لتغطية آثار الجروح الناتجة عن العمليات الجراحية التي يجريها بعد أن ثبت له أنه يساعد علىٰ سرعة التئام هذه الجروح وإزالة آثارها فلا تترك ندوبًا وتشوهات بعد العملية كما تبين له من هذه التجارب التي أجراها أن طبيعة العسل وما يحويه من مواد تساعد علىٰ نمو الأنسجة البشرية من جديد فتلتئم الجروح بطريقة مستوية، ويقوم الطبيب برش العسل علىٰ موضع الجرح بصورةٍ سائلةٍ أو علىٰ هيئة حبيبات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أعلن الدكتور وليام بيترسون أخصائي أمراض الحساسية بجامعة أيوا الأمريكية أنه قام بمعالجة ٣٣ ألف مريض بالحساسية بمقدار ملعقة يوميًّا من عسل النحل الخام، وأكد العسل فاعليته في ٩٠ ٪ من الحالات.

وقد أعلن البروفيسور كلود هيليو من علماء فرنسا في المؤتمر الدولي الثاني الخاص بتحسين الأنواع في ٦ أبريل ١٩٥٦ أن هناك نوعًا من عسل النحل يسمىٰ عسل النحل الملكي له قدرة علىٰ إفناء جميع أنواع الجراثيم إنه سيحقق للإنسانية حلمها في إطالة العمر والاحتفاظ بالصحة أطول زمن ممكن.

أما الغذاء الملكي هو سائل أبيض يسمىٰ لبن النحل يشبه اللبن الكثيف أو القشدة تفرزه الشغالات لتطعم به الملكات واليرقات.

والغذاء الملكي هامٌّ جدًّا في تحديد مستقبل الخصوبة والتناسل عند اليرقات المؤنثة، فإذا غذيت عليه طيلة الطور اليرقي (خمسة أيام) فستصبح الملكة طويلةً ورشيقةً ومبايضها كاملة خصبة، وإن غذيت عليه ثلاثة أيام فقط واستُكمل غذاؤها بحبوب اللقاح المعجون بالعسل (خبز النحل) أصبحت عقيمةً ومبايضها ضامرة.

وأخيرًا من فوائد الغذاء الملكي:

١ – يعالج الضعف الجنسي أيًّا كان سببه.

٢ – يعالج قرحة المعدة والاثنىٰ عشر والقرحات الأخرىٰ بالجسم.

٣ – يفيد في علاج مرض القلب ويخفض نسبة الكوليسترول في الدم.

٤ – يؤخر سن اليأس عند النساء.

٥ – يستخدم في علاج السمنة والبدانة[(١)].

(١) كتاب «الله والعلم الحديث» لعبد الرازق نوفل (ص١٧٣–١٧٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥ – يقول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام]. إن هذا التشبيه العلمي من معجزات القرآن الكريم وهو يشير إلىٰ حقيقةٍ علميةٍ لم تكن معلومة إلا في العصر الحديث.

وقد تقدم الدكتور صلاح الدين المغربي وهو عضو في الجمعية الأمريكية لطب الفضاء في المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في إسلام أباد ببحثٍ عن حالة الصدر في طبقات الجو العليا فقال: لنا حويصلات هوائية، والأكسجين إذا دخل الرئتين ينفخ هذه الحويصلات الهوائية فتراها منتفخة، لكن إذا صعدنا إلىٰ طبقات الجو العليا ينقص الهواء وينقص الأكسجين فيقل ضغطه فتنكمش هذه الحويصلات ويقل ضغطه فتنكمش هذه الحويصلات ويقل الأكسجين فإذا انكمشت هذه الحويصلات ضاق الصدر فسبحان الله العظيم: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام:١٢٥].

ويتحرج النفس ويصبح صعبًا ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ قال: من سطح البحر إلىٰ ١٠٠٠٠ قدم لا يحدث تغيير.

ومن ١٠٠٠٠ قدم إلىٰ ١٦٠٠٠ قدم في هذه المنطقة يبدأ الجسم في تكييف نفسه ليعدل النقص الذي حدث والتغيير الذي حدث.

ومن ١٦٠٠٠ قدم إلىٰ ٢٥٠٠٠ قدم يبدأ الضيق الشديد في الصدر فيضيق الصدر ويصاب صاحبه بالإغماء ويميل إلىٰ أن يقع وتأخذه دوخة ويكون التنفس صعبًا جدًّا وهذه الحالة تقع للطيار حين تتعطل أجهزة التكييف في كابينة الطيارة التي يقودها، فكلما صعد الإنسان إلىٰ أعلىٰ نقص الأكسجين فيتعذر التنفس وتتحرج العملية الحيوية ويضيق الصدر وبعد ٢٥٠٠٠ قدم تتمدد الغازات في المعدة فتضغط علىٰ الحجاب الحاجز فيضغط علىٰ الرئتين ويضيق الصدر وكل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا يشير الله إليه في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام].

هل كان نبينا محمد ﷺ عنده من الطيران ما يمكنه من معرفة تلك الحقائق؟.

لقد كان عنده أكثر من ذلك، عنده الوحي يأتيه من الله.

وعندما ترجمت هذه الآية إلىٰ يوشيدي كوزان مدير مرصد طوكيو باليابان اندهش بشدة وأخذ يستمع إلىٰ آيات وآيات تشير إلىٰ ما يعرف جيدًا من العلوم الحديثة ثم قال: إن المتحدث بالقرآن يعلم كل شيء وبكل دقة وتفصيل(١).

٦- يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:٢٥].

لقد قال الدكتور استروخ من أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء قال: لقد أجرينا أبحاثًا كثيرةً علىٰ معادن الأرض وأبحاثًا معمليةً ولكن المعدن الوحيد الذي يحير العلماء هو الحديد.

قدرات الحديد لها تكوين مميز، إن الالكترونات والنيترونات في ذرة الحديد لكي تتحد تحتاج إلىٰ طاقةٍ هائلةٍ تبلغ أربع مرات مجموع الطاقة الموجودة في مجموعتنا الشمسية، ولذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكوَّن علىٰ الأرض ولابد أنه عنصر غريب وفد إلىٰ الأرض ولم يتكون فيها، فلما ترجموا له معنىٰ الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:٢٥].

قال: إن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من كلام بشر(٢).

٧- قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ المَالُ وَيَفِيضُ حَتَّىٰ يُخرِجَ

---

(١) «الموسوعة الذهبية» (ص٤٣-٤٤).

(٢) كتاب «الأدلة الهادية على وجود الله» (ص١٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا وَحَتَّىٰ تَعُودَ أَرْضُ العَرَبِ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارًا»[(١)].

ولقد سئل الدكتور ألفريد كوروز من أشهر علماء الجيولوجيا: هل كانت أرض العرب بساتين وأنهارًا كما أخبر الرسول ﷺ؟ قال: نعم، فقيل له: متىٰ كان ذلك؟ قال: في العصر الجليدي الأول الذي مر به العالم في عصوره الأولىٰ، ثم سئل: هل تعود بلاد العرب بساتين وأنهارًا مرةً أخرىٰ؟ قال: نعم هذه حقيقة علمية، قالوا: كيف تقول علىٰ شيء سيقع في المستقبل: إنه حقيقة علمية؟! قال: لأن العصر الجليدي الثاني بدأ ومن مقدماته ذلك الشتاء القارس والعواصف الثلجية التي تزحف علىٰ أوروبا في السنوات الأخيرة، وكل شتاء سيأتي سيكون أقسىٰ من الذي قبله، فكتلة الجليد في القطب الشمالي بدأت تزحف ببطء نحو الجنوب وهي في كل عام تقترب ولكن ببطء من المنطقة التي فيها بلاد العرب، وعندما يزداد هذا الاقتراب بعد فترةٍ طويلةٍ من منطقة بلاد العرب ستعود بساتين وأنهارًا.

وفي آخر الحوار قال: لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل علىٰ أن النبي ﷺ لم يصل إلىٰ هذا العلم إلا بوحيٍّ علويٍّ[(٢)].

(١) مسلم (٦٠ ـ ١٥٧).

(٢) كتاب «الأدلة على وجود الله» للشعراوي (ص١٢٨).

البَابُ الرَّابِعُ

ادعاءات المستشرقين حول النبي ﷺ والرد عليها

الشبهة الأولى: الزواج بالسيدة خديجة كان لهوًى ماديٍّ، فقد اتهم بعض المستشرقين النبي ﷺ بأنه كان يهاب خديجة لمالها الذي يستفيد منه كثيرًا.

الرد: وقد أجاب الأستاذ وليام موير في كتابه «حياة محمد» بقوله: إن الرسول لم يتمتع بتلك الثروة ولم يتلذذ بها بل قضىٰ حياته فقيرًا، ويروىٰ أنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي.

وزواج أساسه المادة لا يَمُتُّ إلىٰ السعادة بشيء، بينما نحن نعلم أن الرسول كان سعيدًا مطمئنًا خلال السنين الطوال التي قضاها مع زوجته خديجة بالرغم من اضطهاد قريش وإيذائها له وطالما حن إليها بعد وفاتها وذكرها بالخير وعرفان الجميل.

والمعلوم: أن الرسول كان في عصرٍ شاع فيه تعدد الزوجات سواء بين الملوك والأمراء ومن سبقه من الأنبياء ولكنه لم يجرح قلب خديحة ولم يثر غيرتها بزواجه من امرأةٍ في حياتها.

وقال الأستاذ لان بول في كتابه «عائشة أم المؤمنين»: لو صح ما نسب البعض من أن وفاء الرسول لخديحة لم يكن مبعثه الإخلاص فقط بل كان التَّهيب من مقامها المالي والاجتماعي خشية مطالبتها إياه بالطلاق لرأينا محمدًا يحمد الله علىٰ وفاتها ويُرىٰ بذلك العبء الثقيل متهافتًا إلىٰ حياةٍ أكثر حرية، ولكنه لم يفعل شيئًا من ذلك. إذًا ما كان هذا الوفاء إلا نتيجة حب وشكر لها[1].

---

(١) كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين» لعبد المتعال الجبري.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول نظمي لوقا -نصراني-: لقد طلبت السيدة خديجة محمدًا قبل أن يطلبها محمد.

خديجة سعت إلىٰ الزواج من محمد قبل أن يسعىٰ للزواج من خديجة فأين الطامع هنا وأين المطموع فيه يا أولي الألباب؟

هل يعتبر طمعًا أن ينطوي الشاب علىٰ نفسه ولا تجد المرأة مندوحةً في تنبيهه إلىٰ استعدادها للزواج منه لميلها إليه.

ماذا تكون العفة إذًا والتأني بالنفس عن نطاق الطمع والتهالك علىٰ المنافع[(١)].

وتقول كارين آرمسترونج: ورغم أن محمدًا كان إنسانًا متقد العاطفة فلم يتزوج بأخرىٰ أصغر سنًّا من خديجة طوال سنوات زواجه بها، وتلك حقيقة أولىٰ لهؤلاء الذين ينتقدونه لتعدد زوجاته في السنوات الأخيرة من حياته أن يبرروها، والواقع أن بعد وفاتها كان مدح محمد الدائم لخديجة يغضب النساء اللاتي تزوجهن كما أنه في إحدىٰ المناسبات شحب وجهه من الأسىٰ لاعتقاده أنه سمع صوتها، ليس هذا إذًا زواج مصلحة[(٢)].

الشبهة الثانية: التشكيك في الوحي: يقول أحد المستشرقين: الوحي عزيمة تبلورت ورأي انقدح في قلب النبي فصدر عنه في حالة انفعال بالغ وتحمس شديد، بحيث لم يكن يستطيع أن يعتبره غير وحي أنطقه الله به، وقد سماه بعض المستشرقين بالوحي النفسي.

الرد: هذا قول خاطئ ويمكن الرد عليه من خلال النقاط التالية:

أولًا: إننا نصادف كثيرًا آراء في قلوبنا وإرادات مصممة لما نعزم عليه ولكن لا يقوىٰ هذا علىٰ أن يكون كالقرآن لا في بلاغة لفظ ولا في رائع معنىٰ ولا في إمساك

---

(١) كتاب «محمد ﷺ في حياته الخاصة».

(٢) كتاب «محمد» (ص١٢٥) الفصل الرابع الوحي لكارين أرمسترونج.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمجامع القلوب، وقد كان للنبي ﷺ آراء ناضجة لم تبلغ أن تكون قرآنًا وهو ذاته قد نبه إلىٰ أن يكتب القرآن ولا يكتب حديثه وقد ميزه قومه بحاستهم اللغوية الأصيلة وأحسوا بالفرق بين القرآن وبين غيره مما يدل علىٰ تميز وخصائص للقرآن عرفوها(١).

ثانيًا: إن صورة الوحي النفسي كما صوروه مبنية علىٰ وجود معلومات وأفكار مدخرة في العقل الباطن، وأنها تظهر في صورة رؤىٰ ثم تقوىٰ فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية.

... وإني أتساءل: هل كان الدين الذي جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام بعقائده وتشريعاته في العبادات والمعاملات والحدود والجنايات والاقتصاد والسياسة والأخلاق والآداب وأحوال السلم والحرب مركوزًا أو مدخرًا في نفسه ﷺ؟.

... هذا ما تنكره العقول بداهةً؛ لأن ما جاء به ﷺ وما بلغه من وحي الله في العقائد يعتبر مناقضًا لكل ما كان سائدًا في العالم حينئذ من عقائد، كالوثنية والمجوسية والتأليه والتثليث والصلب وإنكار البعث واليوم الآخر، وكذلك جاء النبي ﷺ بتشريعاتٍ ما عرفت في الشرائع السابقة سماوية، وغير سماوية.

... واشتمل الوحي الإلهي الذي بلَّغه المصطفىٰ ﷺ سواء قرآنًا أو سنةً، علىٰ أسرار في الكون والأنفس والآفات، ما كانت تخطر علىٰ بال بشرٍ قط، ولم يظهر تأويلها إلا بعد تقدم العلوم والمعارف في العصر الأخير، فكيف تكون هذه الأسرار من داخل نفس النبي ﷺ، وهي لم تخطر له علىٰ بال.

ثالثًا: ليس كل ما في الوحي الإلهي (قرآنًا وسنة) مما يستنبطه العقل والتفكير ومما يدركه الوجدان والشعور.

---

(١) كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

...ففي الوحي جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلىٰ علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعليم، أو المعاصرة.

... ومن هذه الجوانب: ما جاء في الكتاب والسنة، من أنباء ما قد سبق، وما فصَّله من تلك الأنباء، علىٰ وجهه الصحيح كما وقع؟

رابعًا: لقد بين الله تعالىٰ، أن الوحي أمر خارج عن نفس النبي ﷺ وليس نابعًا من داخلها، بل حمله جبريل عليه السلام من عند الله إليه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

... فحامل الوحي ملك منفصل عن ذات محمد ﷺ، ليس خيالًا فيها، وله من الصفات ما بيَّنها الله في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير][(١)].

الشبهة الثالثة: كان النبي يصاب بالصرع، وأن أعراضه كانت تبدو عليه فتعتريه التشنجات وتخرج من فمه الرغوة، حتىٰ إذا أفاق من نوبته تلا علىٰ المؤمنين به ما يقول أنه وحي الله إليه وهو ليس إلا أثر الصرع.

الرد: وهذا القول خاطئ من الناحية العلمية فنوبة الصرع لا تذر من تصيبه أيَّ ذكرٍ لما مر به أثناءها، بل هو ينسىٰ هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسيانًا تامًّا ولا يذكر شيئًا مما صنع أو حل به خلالها؛ ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل. هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم، ولم يكن ذلك يصيب النبي العربي ﷺ أثناء الوحي، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبهًا لا

(١) كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ» لعماد الشربيني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عهد للناس به وكان يذكر بدقة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك علىٰ أصحابه[١].

ويقول المستشرق دوغويه: إن هذا بعيد الاحتمال ويعلل ذلك بأن الحافظة في المصروعين [تكون شبه معدومة، ولكن في حالة الرسول ﷺ] كانت غاية في الجودة كلما هبط عليه الوحي[٢].

يقول درمنجم في كتابه «حياة محمد»: غفل المستشرقون بأمور النفس – الحضريون– الذين افترضوا وجود الوحي من الصرع والاستيحاء والخيال المتقد عن حياة الخيام في الصحراء وعما يجب أن يبديه الرجل فيها من الحنق والدهاء ليبقىٰ زعيمًا بسيطًا لعصبة من الأعراب.

ثم من الجائز أن يقال: إن البنية المريضة قليلًا تساعد علىٰ التصوف ويزيدها التصوف مرضًا، والحق أن محمدًا كان مبرأً من مثل هذه الأمراض علىٰ الدوام؛ فقد كان تام الصحة إلىٰ أن بلغ سن الكمال، ولم تبد العوارض عليه بعد هذه السن إلا عند تقبل الوحي، وأنت إذا استثنيت هذا، وأنت إذا عدوت المرض الذي استولىٰ عليه في الستين من عمره رأيته لم يصب بغير وجع الرأس ثلاث مرات بسبب أسفاره الطويلة تحت وهج الشمس فيعالج بوضع المحاجم علىٰ رأسه.

وقال ماكس مايرهوف: لقد أراد بعضهم أن يرىٰ في محمد ﷺ رجلًا مصابًا بمرض عصبي ولكن تاريخ حياته من أوله إلىٰ آخره ليس فيه شيء يدل علىٰ هذا كما أن ما جاء به فيما بعد من التشريع يناقض هذا القول[٣].

وقال المستشرق ر. ف. بودلي: يذكر الأطباء أن المصاب بالصرع لا يفيق منه وقد ذخر عقله بأفكار لامعة، وأنه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي

---

(١) كتاب «حياة محمد» لمحمد حسين هيكل.

(٢) «مباحث شرقية» (صـ ١) نقلا من كتاب «أوربا والإسلام» لعبد الحليم محمود (ص١٢٧).

(٣) كتاب «العالم الإسلامي».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظل يتمتع بها محمد حتىٰ قبل مماته بأسبوع واحد، وما كان الصرع ليجعل من أحد نبيًّا أو مشرعًا وما رفع الصرع أحدًا إلىٰ مراكز التقدير والسلطان يومًا وقد كان من تنتابه مثل هذه الحالات في الأزمنة الغابرة يعتبر مجنونًا أو به مس من الجن، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد ولا شك(١).

الشبهة الرابعة: أن سيدنا محمدًا ﷺ كاذب وهو صانع ومؤلف القرآن.

الرد: وقد أصدر بشرىٰ زخاري ميخائيل كتابه «محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل» وعقد فصلًا لإثبات أن القرآن كلام الله واستدل بالأدلة الآتية علىٰ هذا:

١ – القرآن يتضمن ما جاءت به الكتب السماوية المنزلة من قبل وهذا التشابه الذي ذكره زخاري في الاستدلال علىٰ صدق دعوىٰ النبي بالرسالة هو الذي استدل به النجاشي حين قرأ جعفر بن أبي طالب القرآن عليه فقال: (والله إن هذا الذي تقرؤه والذي أنزل علىٰ عيسىٰ ابن مريم ليخرجان من مشكاة واحدة) والاستدلال بالتشابه في الملامح الرئيسية برهان علمي يُتَّبَعُ في عِلْمِي الأنساب والأجناس.

٢ – لو كان محمد هو صاحب هذا القرآن ونسب هذا النظام العظيم إلىٰ الله أو إلىٰ أية جهة أخرىٰ لكان ظالمًا لنفسه أشد الظلم إذ بخسها حقها وحرمها هذا المجد الذي يؤهلها له هذا الكتاب العظيم الذي يتحدىٰ الإنس والجن وأعجزهم أن يأتوا بمثله ولكان من حق من يصدر عنه هذا الكتاب المعجز القاهر أن يكون فوق العالمين مستندًا إلىٰ ذاته لا إلىٰ قوة إلهية تسنده ولذا كان القرآن إلهي المصدر(٢).

وقال كارليل: لقد أصبح من أكبر العار علىٰ أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلىٰ ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خدّاع مزوِّر.

وقال: والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب، فهو إذا لم يكن

(١) كتاب «حياة محمد».

(٢) كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليمًا بخصائص الجير، والجص، والتراب، وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الأنفاق، وكثيب من أخلاط المواد، نعم، وليس جديرًا أن يبقىٰ علىٰ دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه، فينهدم؛ فكأنه لم يكن.

إلىٰ أن قال: وعلىٰ ذلك فلسنا نعد محمدًا هذا قط رجلًا كاذبًا متصنعًا، يتذرع بالحيل، والوسائل إلىٰ بغيته، ويطمح إلىٰ درجة ملك أو سلطان، أو إلىٰ ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا قول صادق، صادر من العالم المجهول.

كلا، ما محمد بالكاذب، ولا المُلفِّق، وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة؛ فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله.

وهذا جفري لانغ أستاذ الرياضيات الجامعي الأمريكي –المسلم – يقول: «إن الذي أنزل القرآن كأنه يعرفني أكثر مما أعرف نفسي»، كيف لا والذي أنزل القرآن هو الذي خلق الإنسان؟ وهو الله سبحانه القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك]. و كانت قراءته لترجمة معاني القرآن الكريم سببًا في إسلامه(١).

ويقول السير «وليم موير» في كتابه «حياة محمد»: (إن القرآن ممتلئ بأدلة من الكائنات المحسوسة والدلائل العقلية علىٰ وجود الله تعالىٰ، وأنه الملك القدوس، وأنه سيجزي المرء بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وإن اتباع الفضائل، واجتناب الرذائل فرض علىٰ العالمين، وإن الواجب علىٰ كل مكلف أن يعبد الله –تعالىٰ– وهي علة سعادته)(٢).

يقول «هنري دي كاستري»: إن العقل يحار كيف يتأتىٰ أن تصدر تلك الآيات

(١) كتاب «الصراع من أجل الإيمان» تأليف الدكتور جفري لانغ، ترجمة د. منذر العبسي، نشر دار الفكر.
(٢) كتاب «تعريف غير المسلمين بالإسلام».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظًا ومعنًى. آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفىٰ رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشيّ الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيىٰ وصاح قائلًا إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسىٰ عليه السلام.. لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا. غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سببًا في معارضة تأثيره في عقول العرب. ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول: (من الناس من يتعلم قليلًا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه، ولو أنه سمع محمدًا ﷺ يمليه علىٰ الناس بتلك اللغة الفصحىٰ الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب.. لخر ساجدًا علىٰ الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلىٰ مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نودّ الموت أو الانتصار).. وكيف يعقل أن النبي ﷺ ألف هذا الكتاب باللغة الفصحىٰ مع أنها في الأزمان الوسطىٰ كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون.. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفىٰ بذلك أن يستولي علىٰ الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب[1].

يقول «إميل درمنجم» في كتابه «حياة محمد»: (...ولد لمحمد ﷺ، من مارية القبطية ابنه إبراهيم فمات طفلًا، فحزن عليه كثيرًا ولحده بيده وبكاه، ووافق موته كسوف الشمس فقال المسلمون: إنها انكسفت لموته، ولكن محمدًا ﷺ كان من سموّ النفس ما رأىٰ به ردّ ذلك فقال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ**»[2] فقول مثل هذا مما لا يصدر عن كاذب دجال.

(١) كتاب «الإسلام خواطر وسوانح».

(٢) البخاري (١٠٤٤، ١٠٤٨، ١٠٥٢)، ومسلم (٣، ١٧ - ٩٠١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشبهة الخامسة: هي أن محمدًا ﷺ ليس نبيًّا وهو صانع الإسلام.

الرد: يرد بشرىٰ ميخائيل علىٰ هذه الشبهة ويقول:

١ – بساطته وزهده دليل علىٰ صدقه.

٢ – لو كان محمد يبغي بدعوته تمجيد نفسه أو خاصة قومه لما جعل لأهل الكتاب في كتابه كرامة ومنزلة.

٣ – لو أنه كذلك يبغي مجده الشخصي لكان لهذه الفتوح عائدًا ماليًّا تضمه له خزينة؛ ولكنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير اشتراه لطعام أهله أيحسب في المخادعين والكذابين والمضللين من يرد كل هذه الدنيا التي وضعت بين يديه.

٤ – بشارات الأناجيل.

وبالإضافة إلىٰ ذلك أن ما نطق به النبي من حديثه يختلف في بيانه عن أسلوب القرآن المعجز وهذا الاختلاف الكبير بين الأسلوبين دليل علىٰ أن القرآن وحي نزل علىٰ النبي ﷺ وليس من إبداعه وإنشائه وهو دليل نبوته إذ الأسلوب من سمات الشخصية وقد رأينا القرآن يختلف عن أسلوب النبي ﷺ[(١)].

يقول مارسيل بوازار: لقد كان محمد ﷺ نبيًّا لا مصلحًا اجتماعيًّا. وأحدثت رسالته في المجتمع العربي القائم آنذاك تغييرات أساسية ما تزال آثارها ماثلة في المجتمع الإسلامي المعاصر[(٢)].

الشبهة السادسة: وصف النبي بأنه شاعرٌ أو ناثر مبدع.

الرد: كل ما كان من هذا القبيل مردود؛ لأننا نحن العارفين بالشعر منذ عهد محمد ﷺ إلىٰ الآن نعرف الشعر جيدًا بضروبه وبحوره وليس القرآن منه، وإن

---

(١) كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين».

(٢) كتاب «إنسانية الإسلام».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان للقرآن تأثير في السامع أعظم من الشعر.

يقول المستشرق «ديزيربه بلانشيه» عن القرآن: كفىٰ هذا القرآن مجدًا وجلالًا أن الأربعة عشر قرنًا التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف أسلوبه بل لم يزل غضًّا كأن عهده بالحياة أمس(١).

ولا شك أن هذا هو بعض أسرار الإعجاز الإلهي للقرآن فلو كان فعل النبي ﷺ لكان إبهاره سامعيه ولكانت طراوته موقوته بعصره وجيله، وبالجيل الذي بعده علىٰ الأكثر ثم لا يستساغ شأن كل عمل أدبي بشري(٢).

وقد حاول جوستاف لوبون الكشف عن سر إعجازه فقال: (إن القرآن وما اشتق منه هو إلىٰ الفطرة بحيث يلتئم مع حاجات الشعوب)(٣).

وقد رد درمنجم في كتابه «حياة محمد» علىٰ القائلين بأن القرآن عمل أدبي لمحمد ﷺ: (إن كل نبي يجب أن يأتي ببرهان من طبيعة خاصة يكون آية علىٰ صدق رسالته وهذا البرهان يسمىٰ بالمعجزة وهو يختلف عما يأتي به الأولياء ويسمىٰ كرامة).

والقرآن هو معجزة محمد الوحيدة فإن جماله الأدبي الفائق وقوته النورانية لا يزالان إلىٰ اليوم لغزًا لم يحل وهما يضعان من يتلوه ولو كان أقل الناس تقوىٰ في حالة خاصة من الحماسة.

ويقول بشرىٰ ميخائيل: (لقد تحدىٰ محمد ﷺ الإنس والجن أن يأتوا بمثله وهذا هو برهان رسالته بالمعنىٰ الكامل ولم يكن الأمر في القرآن يتعلق بشيء آخر غير هذه القيمة وهو الفرق بين وحي الإله وإلهام الشياطين)(٤).

---

(١) كتاب «دراسات في تاريخ الأديان» نقلًا من كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين».
(٢) كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين».
(٣) كتاب «حضارة العرب».
(٤) كتاب «محمد رسول الله» لبشرى ميخائيل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول «هـ. أ. ر. جب»: (إذًا لو كان القرآن من تأليف محمد لكان من الممكن أن ينافسه ويضارعه رجال آخرون. وليأتوا بعشر آيات من مثله مفتريات. وإذا لم يستطيعوا -ومن الواضح أنهم لم يستطيعوا- فليقبلوا القرآن كمعجزة وبرهان ظاهر)[١].

ويقول «باسنتا كومار بوز»: (فلم يكن هناك مجال لأي تزييف أو حيلة كاذبة في القرآن وهذا ما يميزه عن جميع الأعمال الدينية الهامة تقريبًا التي ترجع إلىٰ الأزمنة القديمة..إنه لأمر بعيد جدًّا أن يكون هذا الإنسان الأمي قد ألف أفضل كتاب في اللغة العربية)[٢].

الشبهة السابعة: نفي شجاعة النبي ﷺ.

الرد: وأي شجاعة أعظم من أن يتحدىٰ النبي كل القوىٰ التي تحمي الوثنيات والأنظمة الاجتماعية الفاسدة في العالم؟ لقد كان يقود المعارك ويديرها ويتقدم الصفوف ويتصدىٰ لما يتصدىٰ له كل صنديد شجاع وحسبنا قول علي بن أبي طالب: (كنا إذا حمي البأس اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أدنىٰ إلىٰ العدو منه)[٣].

وقد ثبت في موقعة حنين ثبات البطل الغلاب، ولم يثنه أن رأىٰ أكثر من معه يلوذون بالفرار من مباغتة الأعداء المتربصين لهم في ظلمات الليل بالمضايق والشعاب، ولقد ذعر المسلمون وتفرقوا يطلبون النجاة لكن النبي ثبت في مكانه ومعه نفر من المهاجرين والأنصار وهو يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب**».

لكن صيحته هذه كانت لا تسمع في ضجة الفرار وجلبة الاضطراب فأمر عمه العباس أن يستصرخهم فاجتمع إليه بعض الصحابة الذين استبسلوا وقاتلوا مع رسول الله حتىٰ تم لهم النصر.

---

(١) كتاب «المحمدية» طبعة لندن (١٩٥٣) (ص ٣٣).

(٢) كتاب «المحمدية» طبعة كلكتا (١٩٣١) (ص ٤) نقلًا من كتاب «محمد المثال الأسمى» لأحمد ديدات.

(٣) أحمد (١/ ١٥٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول طوراندريه وجورج مارسيه: كان شجاعًا يخوض المعركة بنفسه ليرد الثبات إلىٰ قلوب الذين يضعفون وكان رحيمًا بالضعفاء يؤوي في بيته عددًا كبيرًا من المحتاجين، وكان مع احتفاظه بهيبته كاملة بسيط الحركات لا يتكلف شيئًا، بشوشًا سهل المعاملة، رقيق الجاشية لا يثير غضبه أهل الفضول والسماحة(١).

الشبهة الثامنة: وصف النبي ﷺ بأنه أكول.

الرد: أن النبي ﷺ ذم الذين يأكلون أكثر مما يكفيهم فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان يأتي الهلال تلو الهلال تلو الهلال ما يوقد في بيت رسول الله نار) وسئلت ماذا كان عامة طعامه ﷺ في بيته؟ فقالت: الأسودان (التمر والماء) ومن كان هذا شأنه فليس أكولًا وقد أثر عن النبي ﷺ أنه كان كثير الصيام فيصوم فوق رمضان ستًّا من شوال والثلاثة الأيام البيض ١٣ – ١٤ – ١٥ من الشهر العربي والاثنين والخميس وأخبرتنا عائشة أنه كان ربما أتىٰ إليها ضحوة فسألها: هل عندك من طعام؟ فإن قالت له: لا، قال: إني صائم.

وقد قال ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًىٰ وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»(٢).

وقد أجمع المؤرخون والمخالطون له عليه الصلاة والسلام علىٰ أنه كان المثال الكامل لما يدعو إليه(٣).

وكيف يكون أكولًا مَنْ كان طعامه الخبز والماء، يقول كارليل: لقد كان زاهدًا متقشفًا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أمره وأحواله؛ فكان طعامه عادة الخبز والماء وكثيرًا ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار(٤).

---

(١) كتابها «العالم الشرقي عن محمد ﷺ» نقلًا عن كتاب «المستشرقون والإسلام» لزكريا هاشم زكريا.

(٢) البخاري (٥٣٩٣، ٥٣٩٤، ٥٣٩٥).

(٣) كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين».

(٤) كتاب «الأبطال وعبادة البطولة» المحاضرة الثانية البطل في صورة رسول.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول واشنجتون أرفنج: كان الرسول يأكل قليلًا ويكثر من الصيام زاهدًا لا يميل إلىٰ الترف(١).

الشبهة التاسعة: النبي ﷺ كان يكره الوحدة.

الرد: إن النبي محمدًا ﷺ كان في مكتمل شبابه قبل البعثة يخلو بنفسه في غار حراء، وقد روي عنه اعتكافه في المسجد كثيرًا، وأن طبيعة دينه الذي يدعو إلىٰ التفكير في خلق السماوات والأرض ومصالح المسلمين تفرض لحقيقتها توفير وقت يخلو فيه المرء بنفسه، وأنه من أجل الاستجمام الروحي والعقلي والوجداني الذي لا يتم مع ضجيج المخالطة نزلت الآية التي توفر له ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[الأحزاب:٥٣].

والذي يكره الوحدة لا تؤذيه هذه المخالطات المستمرة، ومن أجل توفير وقت يخلو فيه بنفسه ومن أجل تخفيف زحمة اللقاءات به ربما كان نزول الآية ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾[المجادلة:١٢]. لتكبح جماح سيل الزوار والخلطاء.

الشبهة العاشرة: النبي ﷺ كان نؤومًا.

الرد: من المعلوم أن النبي محمدًا ﷺ كان يقوم بالليل ويقوم أصحابه معه بقيامه حتىٰ أحس أنهم يفعلون فعله هذا فصرفهم وقال: «**خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ**» وقد سجل القرآن هذا النمط من العبادة الليلية فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾[المزمل:٢٠].

وتلقىٰ عصره هذا الخبر بالتسليم فلم ينكره أحد، فأي بيان كاذب يبرز في صورة شنعاء في صفوف المعجبين والحاقدين علىٰ سواء.

---

(١) كتاب «حياة محمد» الفصل التاسع والثلاثون: شخصية محمد الإنسان والرسول.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن عوام الناس يدركون من بدهيات الحياة أن الجائع والخائف لا ينامان؛ وكان رسول الله ﷺ في معظم أحواله جائعًا، وفي مقام الخوف الذي أنقذه من هوله المذهل إيمانه وشجاعته إن الرجل المشغول بجسام الأمور يبيت وهذه الأمور تلاحقه في نومه فكيف النوم ورسول الله يؤسس مجتمعًا جديدًا لبناء شامخ يضم البشرية كلها؟

إن صَحَّ لنا أن نحلل تحليلًا نفسيًّا فإننا نقول: إن رسول الله ﷺ كان مشغولًا بدعوته إلىٰ الحد الذي لا يهنأ له معه نوم بل تلاحقه متاعب رسالته في نومه، ذلك هو ما توحي به عبارته المعروفة: «**تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**» وإن أردنا تحليله النفسي من تصرفاته لقلنا: إن الرجل النؤوم يغط في نومه لا يأبه بشيء حوله، أما غيره فيهب من نومه لأقل نبأة (صوت الكلاب أو الصوت الخفي) وينهض في نشاط من فراشه. وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ، وَهْوَ عَلَىٰ فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْي وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهْوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا**». ثُمَّ قَالَ: «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا**»[(١)]. وما لهذا دلالة نفسية إلا أن الرسول بلغة المصريين كان نومه خفيفًا وقليلًا، وإلا فمتىٰ كان النبي ﷺ يصرف أمور دين ودولة، ولما تستكمل الدولة قوانينها، ولا الدين شرائعه إذا كان نؤومًا؟[(٢)].

الشبهة الحادية عشرة: دعوىٰ مسحة مسيحية علىٰ محمد ﷺ.

الرد: إذا تتبعنا سيرة النبي ﷺ ثم درسنا الأناجيل يمكن أن نعرف أن الكتاب المقدس ليس فيه عشر ما دُوِّنَ عن محمد ﷺ وبالتالي نتبين كذب القائل: إننا نستعير لمحمدٍ وصفًا مسيحيًّا، وإن كثيرًا من الفلاسفة مثل دكتور جوستاف لوبون ومثل ول ومثل مستر بول تحدثوا عن محمد ﷺ بما ردده المؤرخون العرب

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق (٢٩٠٨) أطرافه (٢٦٢٧، ٢٨٢٠، ٢٨٥٧، ٢٨٦٢، ٢٨٦٦، ٢٨٦٧، ٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٣٠٤٠، ٦٠٣٣، ٦٢١٢).

(٢) كتاب «السيرة النبوية» لعبد المتعال الجبري.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القدماء وبما نستنبطه نحن المحدثين[١].

الشبهة الثانية عشرة: إنكار أن النبي أمي؛ لأنه كان في حاجة إلىٰ أن يكرر قراءة كتابه أحيانًا ليستظهره ويستوثق من حفظه.

الرد: إن القراءة والكتابة لا تعطي المستشرقين حاجتهم من الإيحاء بأن محمدًا ﷺ قارئ كاتب ألَّفَ كتابه؛ لأن عيسىٰ وموسىٰ كانا يقرأن ولم يكذبهما أحد في دعواهما تلقي التوراة والإنجيل من السماء.

أما الحفظ فإن الحفظ لا يحتاج إلىٰ أن يكون النبي كاتبًا ما دام للنبي كُتَّاب يكتبون له القرآن فور نزوله يسمون في التاريخ كُتَّاب الوحي، وما دام الوحي ينزل عليه يصحح له القرآن ويقدم له التفسيرات والتوضيحات اللازمة.

وكونه ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب: فهذا من أعظم المهيئات والدلائل علىٰ صدق نبوته؛ فهذا الرجل الأمي الذي لم يقرأ كتابًا، ولم يكتب سطرًا، ولم يقل شعرًا، ولم يرتجل نثرًا، الناشئ في تلك الأمة الأمية - يأتي بدعوة عظيمة، وبشريعة سماوية عادلة تستأصل الفوضىٰ الاجتماعية، وتكفل لمعتنقيها السعادة الإنسانية الأبدية، وتعتقهم من رق العبودية لغير ربهم - جل وعلا -[٢].

يقول «هنري دي كاستري»: ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مرارًا نبيًّا أميًّا، وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك أنه يستحيل علىٰ رجل في الشرق أن يتلقىٰ العلم بحيث لا يعلمه الناس؛ لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان علىٰ أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار، ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوىٰ رجل واحد ذكره جارسين دي تاس في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤، كذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين أن

(١) كتاب «السيرة النبوية» لعبد المتعال الجبري.

(٢) كتاب «تعريف غير المسلمين بالإسلام».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يستدل علىٰ معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار السيدة خديجة رضي الله عنها إياه لمتاجرها في الشام ولم تكن لتعهد إليه أعمالها إن كان جاهلًا غير متعلم؛ فإنا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرءون ولا يكتبون وهم في الغالب أكثر أمانة وصدقًا(١).

يقول ول ديورانت: «يبدو أن أحدًا لم يعن بتعليم محمد ﷺ القراءة والكتابة.. ولم يعرف عنه أنه كتب شيئًا بنفسه.. ولكن هذا لم يَحُل بينه وبين قدرته علىٰ تعرف شئون الناس تعرفًا قلّما يصل إليه أرقىٰ الناس تعليمًا»(٢).

الشبهة الثالثة عشرة: إن قوم محمد ﷺ كذبوه؛ لأنهم لم يجدوا فيه صفات النبوة.

الرد: لقد ذكر المستشرقون أنفسهم أن سيدنا محمدًا ﷺ كان مثلًا عاليًا في البر والرحمة والثبات والصبر وقوة الاحتمال مع التواضع والقدرة علىٰ الانسلاخ من سلطة البيئة والهوىٰ، وهذه كلها صفات النبوة فالكذابون لا يصدر عنهم إلا مبادئ ساقطة من جنس ما جُبِلَت عليه نفوسهم، وقد أتىٰ النبي بأكمل المبادئ الخُلقية، واحتمل في سبيلها كل ضروب الأذىٰ التي لا يمكن أن يحتملها إنسان.

يقول كارليل: لقد انطلقت من فؤاد ذلك الرجل الكبير النفس المملوء رحمة وبرًّا وحنانًا وخيرًا ونورًا وحكمة، أفكار غير الطمع الدنيوي، وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان(٣).

وهذا لامارتين يصفه بصفات لا تتجمع إلا لنبي فيقول: فيلسوف، خطيب، رسول من رسل الله، مشرع، محارب، منتصر الفكر، مساند للعقائد المعقولة، هادم للأصنام بمختلف صورها، مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية أرضية، وإمبراطورية

---

(١) كتاب «الإسلام سوانح وخواطر».

(٢) كتاب «قصة الحضارة».

(٣) «الأبطال وعبادة البطولة» المحاضرة الثانية: البطل في صورة رسول.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

روحية واحدة، ذلكم هو محمد ﷺ بكل المقاييس والمعايير التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر، يجوز لنا أن نسأل سؤالًا له كل الوجاهة، وكل الدواعي: هل يوجد أي رجل أعظم من محمد ﷺ؟[١].

الشبهة الرابعة عشرة: النبي كان مشركًا قبل الإسلام، وأن النبي تعلم التوحيد من أهل الكتاب.

الرد: دعوىٰ أن محمدًا ﷺ كان مشركًا في الجاهلية دعوىٰ بلا دليل إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، والمعروف عند المؤرخين الذين رووا التاريخ بأسانيدهم عن مخالطي الرسول ﷺ أنهم قالوا: إن النبي لم يسجد لوثن قط ولم يشرب الخمر ولم يكن عابثًا كأقرانه قبل البعثة.

وأما دعوىٰ أنه تعلم التوحيد من أهل الكتاب فبطلانها ظاهر؛ لأن التوحيد هو الفطرة وهو الأصل، والتعدد هو الخارج عن الأصل والزائد عليه، وما كان مركوزًا في الفطرة لا يحتاج إلىٰ التلقي والتعليم وإنما يحتاج إلىٰ تعلم التثليث والوثنية كما في الحديث: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[٢] وهي قضية قررها علم الاجتماع وعلم النفس كما أن التوحيد هو دين إبراهيم وكان الحنفاء يذهبون إليه ولم يعرف نصارىٰ العرب التوحيد فكيف أخذه محمد ﷺ عنهم؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

ويقول الكونت هنري دي كاستري: أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلىٰ النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها علىٰ مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته وهو

---

(١) كتاب «تاريخ الأتراك» طبعة باريس (١٨٥٤).

(٢) البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٢، ٢٣، ٢٤ ـ ٢٦٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بذاته أكبر دليل علىٰ صدقه في رسالته وأمانته في نبوته[١].

الشبهة الخامسة عشرة: إنَّ محمدًا ﷺ ذو مبادئ إباحية حين يعدد الزوجات.

الرد: إن تعدد زوجات النبي ﷺ كان لِحِكَمٍ كَثِيرةٍ يمكن أن نجملها فيما يلي:

أولًا: الحكمة التعليمية.

ثانيًا: الحكمة التشريعية.

ثالثًا: الحكمة الاجتماعية.

رابعًا: الحكمة السياسية.

أولًا: **الحكمة التعليمية**: لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بضع معلمات للنساء يعلمنهن الأحكام الشرعية....فالنساء نصيف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض علىٰ الرجال.

وقد كانت الكثيرات منهن يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس، والجنابة والأمور الزوجية، وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم عن بعض هذه المسائل.

كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان –كما تروي كتب السنة– أشد حياء من العذراء في خدرها، فما كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة، بل كان يكني في بعض الأحيان، ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه السلام.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فعلمها ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: «**خُذِي فِرْصَةً مُمَسكَةً** –أي: قطعة

(١) كتاب «الإسلام سوانح وخواطر».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من القطن بها أثر الطيب- **فَتَطَهَّرِي بِهَا**» قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال لها: سبحان الله تطهري بها....

قالت السيدة عائشة: فاجتذبتها من يدها فقلت: تضعيها في مكان كذا وكذا وتتبعي لها بالمكان الذي تضعيها فيه.

فكان صلوات الله عليه يستحيي من مثل هذا التصريح، وهكذا كان القليل من النساء تستطيع أن تتغلب علىٰ نفسها، وعلىٰ حيائها، فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقع لها.

ومثل هذه الأسئلة المحرجة كان يتولىٰ الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات اللاتي كان لهن أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه عليه الصلاة والسلام واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء.

ثانيًا: الحكمة التشريعية: وهذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة وهو أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة، ونضرب مثلًا بدعة التبني التي كان يفعلها العرب قبل الإسلام، فقد كانت دينًا متوارثًا عندهم، يتبنىٰ أحدهم ولدًا ليس من صلبه، ويجعله في حكم الولد الصلبي، ويتخذه ابنًا حقيقيًّا له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال، في الميراث، والطلاق، والزواج، ومحرمات المصاهرة، ومحرمات النكاح، إلىٰ غير ما هنالك مما تعارفوا عليه وكان دينًا تقليديًّا متبعًا في الجاهلية.

كان الواحد منهم يتبنىٰ ولد غيره فيقول له: أنت ابني، أرثك وترثني.

وما كان الإسلام ليقرهم علىٰ باطل، ولا ليتركهم يتخبطون في ظلمات الجهالة، فمَهَّدَ لذلك بأن ألهم رسوله عليه السلام أن يتبنىٰ أحد الأبناء فتبنىٰ عليه الصلاة والسلام زيد بن حارثة علىٰ عادة العرب قبل الإسلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد زوجه عليه السلام بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقات بينهما، فكانت تغلظ له القول، وترىٰ أنها أشرف منه؛ لأنه كان عبدًا مملوكًا قبل أن يتبناه الرسول، وهي ذات حسب ونسب.

ولحكمة يريدها الله طلق زيد زينب، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل بدعة التبني ويقيم أسس الإسلام ويأتي علىٰ الجاهلية من قواعدها....وهكذا انتهىٰ حكم التبني، وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية، وكانت دينًا تقليديًّا لا محيد عنه، ونزل قوله تعالىٰ مؤكدًا هذا التشريع الإلهي الجديد: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠].

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالىٰ، وقد صرح الله عز وجل وفرض هذا الزواج بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾[الأحزاب].

روىٰ البخاري بسنده أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر علىٰ أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات(١).

ثالثًا: الحكمة الاجتماعية: وهذه تظهر بوضوح في تزوج النبي ﷺ بابنة الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه وزيره الأول ثم بابنة وزيره الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه ثم باتصاله عليه السلام بقريش اتصال مصاهرة ونسب، وتزوجه العديد منهن، مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق، وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في إيمان، وإكبار، وإجلال.

رابعًا: الحكمة السياسية:لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة، من أجل تأليف القلوب عليه، وجمع القبائل حوله فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة، أو عشيرة، يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة وذلك بطبيعته يدعوهم إلىٰ نصرته

(١) البخاري (٧٤٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحمايته، ولنضرب بعض الأمثلة علىٰ ذلك؛ لتتضح لنا الحكمة التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج:

زواجه ﷺ بالسيدة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفتدي نفسها فجاءت إلىٰ رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا؟ (أي أنهم في الأسر) فأعتقوا جميع الأسرىٰ الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأىٰ بنو المصطلق هذا النبل والسمو، وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعًا، ودخلوا في دين الله، وأصبحوا من المؤمنين.

فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلىٰ قومها وعشيرتها؛ لأنه كان سببًا لإسلامهم وعتقهم، وكانت جويرية أيمن امرأة علىٰ قومها.

وكذلك تزوج ﷺ بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب التي أسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، ووقعت في سهم بعض المسلمين، فقال أهل الرأي والمشورة: هذه سيدة بني قريظة لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ فعرضوا الأمر علىٰ الرسول الكريم فدعاها وخيرها بين أمرين:

١ – إما أن يعتقها ويتزوجها عليه السلام فتكون زوجة له.

٢ – وإما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة له؛ وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته وحسن معاملته، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس[(١)].

وهذا نظمي لوقا –النصراني– نجده يدافع عن النبي ﷺ في مسألة تعدد زوجاته

(١) كتاب «شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول» لمحمد علي الصابوني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيقول: وما كان محمد رجلًا هزيل الحيوية واهن الوظائف، ولكنه كان يملك حيويته ولا تملكه حيويته، ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه؛ فهي قوة له تحسب من مزاياه وليست ضعفًا في نقائصه.

لم يكن أبو القاسم معطل النوازع ولكنها لم تكن نوازع تعصف به؛ لأنه يسخرها في كيانه في المستوىٰ الذي يكرم به الإنسان حين يطلب ما هو جميل وجليل في الصورة الجميلة الجليلة التي لا تهدر من قدره بل تضامن من تساميه وعفته وطهره.

ويقول في موضع آخر: مرحلة طويلة من عمره مداها ربع قرن من الزمن هي فترة الشباب العارم والرجولة الفتية ولم يكن فيها زوجًا للعدد العديد من الحريم بل كان بعل امرأة واحدة هي خديجة بنت خويلد.

بعل امرأة واحدة تكبره بنيف وخمسة عشر عامًا تزوجها وهو في الخامسة والعشرين وتزوجته وهي فوق الأربعين وقيل: وهي تناهز الخامسة والأربعين، وماتت وهي فوق الخامسة والستين علىٰ الأقل وكان هو في الخمسين.

ربع قرن لم تكن فيه هذه الزوجة الواحدة مقنعًا لشاب في سن ابنها لو كان هذا الزوج أخا شهوة لا نقول جامحة بل نقول: متوقدة ذات سلطان علىٰ نفسه.

ربع قرن لم تكن فيه الزوجة الواحدة فرضًا مفروضًا عليه والبيئة لا تعرف إلا التعدد الذي لا حصر له وليس التوحد في الزواج قيمة متفقًا عليها هناك في ذلك الزمن.

ولو كان محمد أخا مجانة لما كان ذلك مستغربًا لدىٰ أحد إلا أنهم كانوا جديرين أن يتشدقوا به أول ما يتشدقون بالمطاعن علىٰ الرسول يوم نهض بالدعوة إلىٰ عبادة الله وما ينبني عليها من التعفف والاستقامة والطهر، كانوا جديرين أن يتصايحوا أول ما يتصايحون ما هذا الذي خرج علينا به محمد من الدعوة إلىٰ العفة وهو الذي عاهدناه كذا وكيت.....وما تورعوا عن التلفيق في التهم فما الذي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسكتهم عن هذه لو أنها كانت صحيحة مشاهدة؟ ولكنها لم تخطر ببالهم علىٰ كثرة ما رموه من البذاء لسبب واحد لا يعقل سواه: إنه كان في سلوكه الشخصي علىٰ نقيض ذلك وكان مشهورًا بالتزام العفة والطهر والبعد عن الشبهات وناهيك بالفواحش والموبقات.

فوقفت شهرته هذه حائلًا دون الافتراء علىٰ لسان معاصريه ومناهضيه من أولياء الكفر في قريش، فالفجور في عصر الفجور لم يكن شيمة محمد ﷺ ولم يكن مكلفًا بعد برسالة كان حكمه - في نظر الناس - قبل البعثة حكم كل شاب آخر من بيوت قريش الرفيعة ليس إذًا هناك سبيل أمام المفترين الأجانب إلىٰ رميه بجموح الشهوة في تلك الحقبة المديدة من عمره وهو شاب أو رجل مكتمل الفتوة خالي البال من الأعباء التاريخية الجسام التي تستنفد الحيوية وتستأثر بالاهتمام.

فكيف يوفقون بين هذه وبين ما رموه به في عهده المدني الحافل بالأحداث والهموم من نقائض الاشتهاء الجامح والتهالك علىٰ مناعم الحرير[(١)].

ويقول كارليل: وما كان «محمد» أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلمًا وعدوانًا، وأشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلًا شهوانيًّا لا هَمَّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ.. كلا، فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيًّا كانت[(٢)].

وتقول الدكتورة لورا فيشيا فاغليري أستاذة اللغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة نابولي: لقد حاول أعداء الإسلام أن يظهروا النبي في صورة رجل تظهر فيه الرغبة الجنسية، واتخذوا من تعدد زوجاته حجة لذلك، وفاتهم أن النبي أيام فتوته وعنفوان شبابه لم يتزوج إلا من امرأة واحدة هي السيدة خديجة وعاش معها حتىٰ جاوز الخمسين وبعد وفاتها تزوج من أخرىٰ كما عقد زيجات مختلفة كانت في

(١) كتاب «محمد في حياته الخاصة».

(٢) «الأبطال وعبادة البطولة» المحاضرة الثانية البطل في صورة رسول.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أغلب الأحيان لدوافع اجتماعية أو سياسية[١].

الشبهة السادسة عشرة: إن محمدًا ﷺ قد تلقف دينه من أفواه الكتابيين الذين كانوا في الجزيرة وهو لم يقابل إلا السذج الأميين من اليهود والنصارىٰ فلم يحصل منهم إلا علىٰ ما هم أهلٌ للإفضاء به من الأوهام حتىٰ عجزوا عن تفهيمه حقيقة المسيحية.

الرد: إن النجاح العظيم للنبي ﷺ لا يتصور أن يكون قائمًا علىٰ تصيد معلومات ناقصة وخرافية من عوام الكتابيين و إلا فقد ادعىٰ النبوة آخرون افتضح أمر كذبهم وبعضهم كان يجمع إلىٰ أدق ضروب الخداع ثقافة علمية عالية.

ثم إن نجاح الدعوات الدينية لا يكفي للوصول إليه إقامة الدليل القاطع علىٰ حقائقها فحسب، ولكن يصحب هذا سمو خلقي عظيم وتأثير روحاني كبير.

وهكذا كان لمحمد ﷺ النصيب الأوفىٰ من السمو والتأثير، والله لا يؤيد بالنجاح متنبئًا كذابًا وإلا بطلت حجته سبحانه علىٰ عباده الذين يخالفون تعاليمه.

علىٰ أن التوراة والإنجيل لم يكونا منشورين بحيث يستطيع عامة اليهود والنصارىٰ أن يحفظوا منهما شيئًا فإن أول طبعة عربية للعهد القديم قد نشرت بعد المسيح بتسعة قرون بينما أول طبعة رسمية عربية للعهد الجديد قد ظهرت بعد ذلك بقرنين كما قال بودلي ثم قال: وما روي عن أن ورقة بن نوفل كان لديه ترجمة للتوراة لا يكفي لإقامة شبهة تلقي محمد ﷺ منها شيئًا؛ لأن ورقة توفي قبل أن يبدأ محمد ﷺ في تدوين ما أوحي به جبريل إليه، ثم إننا الآن بعد عصر الطباعة لا نرىٰ النصارىٰ واليهود يحفظون شيئًا من كتابهم المقدس[٢].

---

(١) كتاب «دفاع عن الإسلام».

(٢) كتاب «السيرة النبوية وأوهام المستشرقين».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشبهة السابعة عشرة: أن محمدًا ﷺ قد نشر دينه بالسيف.

الرد: لقد دافع النبي ﷺ بكل شجاعة وبكل مهارة وبكل اقتدار.. دافع عن نفسه وعن أسرته وعن أتباعه.. وتغلب في النهاية علىٰ كل أعدائه وقهر عدوانهم.

إن نجاح محمد ﷺ في ذلك هو الغصة في حلق خصومه في الغرب الذين حاولوا دون جدوىٰ أن يجعلوا مزاياه الحقيقية عيوبًا مشينة إنه في نظرهم لم يكن يؤمن بقداسة التضحية بنفسه، من أجل أن يغتفر للبشر خطاياهم ومن أجل أن يتحقق للخطاة من البشر أسهل خلاص مما يستحقونه من عقاب جزاء وفاقًا لخطاياهم وذنوبهم. لقد كان ﷺ يفكر ويتصرف علىٰ نحو طبيعي معقول ومقبول.

إن نضال محمد ﷺ وانتصاره علىٰ جيوش أعدائه الكافرين الأشرار قد جعلت محرري دائرة المعارف البريطانية يعلنون أن محمدًا ﷺ هو أعظم الشخصيات الدينية نجاحًا في التاريخ.

يقول دولاسي أوليري: إن التاريخ يؤكد بما لا يدع مجالًا لأي شك أن خرافة الاجتياح البربري لمساحات شاسعة من الأرض وإجبار الناس علىٰ الدخول في الإسلام بقوة السلاح فوق رقاب الشعوب المغلوبة علىٰ أمرها، إنما هي خرافة خيالية مضحكة عارية تمامًا من الصحة، وبعيدة كل البعد عن الحقيقة علىٰ نحو نادر المثال في دنيا التاريخ وفي عالم المؤرخين[1].

ويقول توماس كارليل ردًّا علىٰ هذه الشبهة: إنه السيف فعلًا ولكن أين؟ وفي أي جانب يوجد السيف؟ إن كل رأي جديد في بدء بدايته يكون بطبيعة الحال منحصرًا في أقلية إنما هي أقل الأقليات في عدد أفرادها، إذ إن الرأي الجديد موجود في رأسه هو وحده دون غيره من الناس، وهنالك في رأس هذا الشخص الوحيد يولد الرأي الجديد ويصدق بصحته. يوجد رجل واحد في مواجهة كل الرجال، وعندما يمسك

(١) كتاب «الإسلام في مفترق الطرق» طبعة لندن (١٩٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا الرجل الواحد بالسيف ويحاول أن ينشر رأيه بقوة السيف بين الناس فهو لن يحصل من جراء امتشاق السيف علىٰ أي نفع يحقق هدفه، وأنت يجب أولًا أن تشرع السيف! وعمومًا سينشأ شيء عندما يستطيع شيء أن ينشأ، ونحن لا نجد أن الدين المسيحي قد نبذ السيف، علىٰ مدار تاريخه عندما استطاع أتباع الدين المسيحي الحصول علىٰ السيف، ولم يتمكن شارلمان من تحويل الساكسونيين إلىٰ اعتناق المسيحية بمجرد التبشير النظري القائم علىٰ أساس من الإقناع وحده[١].

ويقول المهاتما غاندي مؤسس الهند الحديثة: كلما درست أكثر اكتشفت أن قوة الإسلام لا تكمن في السيف[٢].

ويقول «أ. س. تريتون»: إن صورة الجندي المسلم المتقدم وبإحدىٰ يديه سيفًا وبالأخرىٰ مصحفًا هي صورة زائفة تمامًا[٣].

الشبهة الثامنة عشرة: تهمة الجنون.

الرد: يقول الكونت هنري دي كاستري: ظن البعض أن به جنة وهو رأي باطل؛ لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الجسم أو اضطراب في القوة المادية، وليس من الناس من عرف الناس جميعًا أحواله في حياته كلها مثل النبي ﷺ؛ فلقد وصل المحدثون عنه إلىٰ أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض في لحيته، ولو أنه كان مريضًا لما أخفىٰ مرضه؛ لأن المرض في مثل تلك الأحوال يعتبر أمرًا سماويًّا عند الشرقيين.

وليست حالة محمد ﷺ -انفعالاته وتأثراته- بحالة ذي جنة بل كانت مثل التي

---

(١) «الأبطال وعبادة البطولة» المحاضرة الثانية: البطل في صورة رسول.

(٢) كتاب «شباب الهند» نقلًا من كتاب «محمد ﷺ أعظم عظماء العالم» لأحمد ديدات (ص٦٧).

(٣) كتاب «الإسلام» طبعة لندن (١٩٥١) ص ٢١ نقلًا من كتاب «محمد المثال الأسمى» لأحمد ديدات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال نبي بني إسرائيل في وصفها: لقد شعرت بأن قلبي انكسر بين أضلعي وارتعشت مني العظام فصرت كالنشوان لما قام بي من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة(١).

الشبهة التاسعة عشرة: قالوا: إنه تزوج حليلة ابنه مع نهيه عن حلائل الأبناء.

الرد: بأن زيدًا كما هو معلوم ليس ابن محمد ﷺ على الحقيقة وإنما هو ابن حارثة كما أن زينب ليست حليلة ابنه على الحقيقة وإنما هي زوجة زيد بن حارثة قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

أما نهي الإسلام عن حلائل الأبناء فالأمر واضح أنه يراد من النهي تحريم حلائل الأبناء الحقيقيين ولا يدخل الأبناء الأدعياء في هذا بدليلين ظاهرين: الأول: زواج النبي ﷺ بزينب وهو صاحب الرسالة والمبلغ عن الله تعالى فلا يمكن أن يخالف أمر الله ولا أن يتقول على الله ما لم يشرع واستمع لقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة]. ومباشرة النبي ﷺ بنفسه هذا العمل بالسنة التطبيقية العملية ليبين للناس عدم حرمة حليلة من كان يدعى ابنًا بالتبني إذا طلقها وانقضت عدتها.

الثاني: أن النص القرآني في المحرمات جاء صريحًا فقال تعالى: ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ [النساء:٢٣]. فالقيد في الآية لم يكن عفويًّا، وإنما يراد منه حلائل الأبناء غير الأدعياء.

فمفهوم المخالفة من الآية كما ترى أن حلائل غير الأبناء الأصلاب غير داخلات في المحرمات، وهذا الأمر بحمد الله واضح فلا شبهة في أن النبي ﷺ

(١) «الإسلام خواطر وسوانح».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تزوج بزوجة ابنه؛ لأن هذا لم يكن علىٰ وجه الحقيقة والواقع[١].

الشبهة العشرون: إن الرسول ﷺ تزوج بزينب نتيجة للحب الذي وقع في نفسه عند رؤيته لها، ومستمسك أصحاب هذه الشبهة ما ورد من الروايات الدخيلة في هذا الموضوع كقولهم: إن الرسول ﷺ جاء إلىٰ منزل زيد فلم يجده ورأىٰ زينب فأعجبته ووقع حبها في قلبه...

الرد: إن هذه الروايات ضعيفة وغير صحيحة بل هي من الدسائس التي أدخلت في التراث الإسلامي سواء أكان صاحب هذه الدسيسة يوحنا الدمشقي ـ النصراني ـ الذي وجد في عهد عبد الملك بن مروان وهو الذي دس أول فرية مما يتناقله الناس بعده من أن النبي ﷺ عشق زينب بنت جحش أم كان بعض الحاقدين علىٰ الإسلام.

وعلىٰ هذا فلا يصح أن يقام عليها بناء من الوهم والتشكيك في نزاهة أنبياء الله ورسله، وقد بَيَّنَ الأئمة خطأ هذه الأخبار، وكشفوا عنها أستار الدس والتدليس، وهؤلاء كانت آراؤهم واضحة في هذه القضية وكان لهم فضل التنبيه وإيقاظ الفكر الإسلامي للتصدي لكل دسيسة يراد منها النيل من قداسة رسول الله ﷺ أو تشويه الحقائق التاريخية في تراث الإسلام، وإننا نجد النص القرآني صريح في حكمة هذا الزواج ومشروعيته حتىٰ إن الله تعالىٰ هو الذي تولىٰ هذا الزواج بنفسه بتبرئة الرسول ﷺ مما سيقوله المنافقون والحاقدون علىٰ رسول الإسلام فقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾[٢][الأحزاب].

يقول مونتجري وات: وبالرغم من أنه ليس لدينا أي سبب للافتراض بأنه كان

---

(١) كتاب «مع المفسرين والمستشرقين حول زواج النبي من زينب» للدكتور زاهر عوض.

(٢) المصدر نفسه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يهمل تمامًا تأثير الجاذبية الجسدية فإنه من الأكيد أنه كان يسيطر تمامًا على عواطفه أمام الجنس اللطيف، وأنه لم يكن يتزوج إلا إذا كان هذا الزواج مستحسنًا سياسيًّا واجتماعيًّا(١).

الشبهة الإحدى والعشرون: قالوا: إن الله أشار إلى هذه العلاقة القلبية بين الرسول ﷺ وزينب؛ ولهذا عاتب الله رسوله على كتمان ذلك الميل النفسي لزينب وإخفائه هذا الأمر في نفسه عندما استشاره زيد في طلاقها فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقد فسر هؤلاء أن الذي كان يخفيه الرسول ﷺ في نفسه هو حب زينب ورغبته الأكيدة في طلاقها من زيد ليتزوجها بعده.

الرد: هذا التفسير خاطئ أما المعنى الصحيح في تفسير الآية فهو كما يلي: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ ﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ بالعتق والتربية والعطف تقول له عندما جاء مستشيرًا لك في طلاق زوجته زينب ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في الإقدام على طلاقها أو الوقوع في عرضها بأنها تؤذيك بلسانها وتسيء عشرتك الزوجية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أي: وتخفي ما أعلمك الله به من قبل من أن زيدًا سيطلقها وأنك ستتزوجها يعده هدمًا لظاهرة التبني وتشريعًا للأمة ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [الأحزاب:٣٧] وتخفي ذلك على زيد مراعاة لشعوره وحياء منه مع أن الله تعالى سيبدي هذا الأمر لا محالة ويظهره إلى حيز الوجود ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أن يقولوا: تزوج حليلة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ فهو الذي بيده مقاليد الأمور وهو الذي شرع لك هذا الأمر ووجهك إليه فلا تلتفت إلى مقالة أحد من الناس ما دمت في ممارسة عمل تشريعي لإصلاح الأمة وإقامة العلاقات الأسرية على

(١) كتاب «محمد في المدينة».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وضعها الصحيح وهدم التقاليد الجاهلية المضرة بكيان الأسر والمجتمعات.

هذا هو المعنىٰ العام للآية نصًّا وروحًا بدليل الرواية التي حققها الأئمة الأثبات وأثنوا عليها فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي قال: (بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه ثم أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ بَعْدُ أنها ستكون من أزواجه فكان يستحي أن يأمر زيدًا بطلاقها وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشىٰ الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنىٰ زيدًا فالذي أخفاه الرسول ﷺ في نفسه هو ما أخبره الله به من أن زينب ستكون زوجته بعد مفارقة زيد لها، ولكن الله تعالىٰ لم يأمره بإعلان ذلك للناس وإلا ما تردد ﷺ في إبلاغه ولا أخره ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه.

وقد ساق الإمام ابن حزم رحمه الله تعالىٰ فهمًا آخر للآية، وهو من بعض جوانبه وجيه جدًّا، وقد ساقه في معرض الرد علىٰ من زعم صدور المعاصي من الأنبياء واستدلالًا بمثل هذه الآية. وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب:٣٧] فقد أنفنا من ذلك إذ لم يكن فيه معصية أصلًا ولا خلاف فيما أمره الله به وأن ما كان أراده زواج مباح فله عقله ومباح له تركه ومباح له طيه ومباح له إظهاره وإنما خشي النبي ﷺ في ذلك خوف أن يقولوا قولًا ويظنوا ظنًّا فيهلكوا كما قال ﷺ للأنصاريين: إنها صفية ـ زوجة النبي ﷺ عندما كان في المسجد معتكفًا فخرج ليوصلها إلىٰ البيت ـ فاستعظما ذلك فأخبرهما النبي ﷺ أنه إنما خشي أن يلقي الشيطان في قلبيهما شيئًا وهذا الذي خشيه عليه الصلاة والسلام علىٰ الناس من هلاك أو يأتيهم بظن يظنونه به عليه الصلاة والسلام هو الذي يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا في هذا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب من نسبتهم إلىٰ النبي ﷺ تعمد المعاصي فهلكت أديانهم وضلوا، ونعوذ بالله من الخذلان وكان مراد الله ﷻ أن يبدي ما في نفسه لما كان سلف في علمه من السعادة لأمنا زينب رضي الله عنها[١].

ولا شك أن الرسول ﷺ رءوف رحيم بأمته فهو يخشىٰ عليها من الوقوع في الهلاك باعتقاد ما يتنافىٰ مع كرامة الأنبياء وعصمتهم.

ونختم بهذا الوجه من الوجوه في رد الشبهة وهو أن السيدة زينب كانت بنت عمة الرسول ﷺ ربيت تحت نظره وشملها من عنايته ما يشمل البنت من والدها حتىٰ إنه اختارها لمولاه زوجة مع إبائها وإباء أخيها وعد ذلك منها عصيانًا وما زالت كذلك حتىٰ نزل في شأنها قرآن فكأنه أرغمها علىٰ الزواج بزيد لما ألهمه الله من المصلحة لها وللمسلمين في ذلك ولو كان للجمال سلطان علىٰ قلبه ﷺ لكان أقوىٰ سلطانه عليه جمال البكر في روائه ونضرة حديثه، وقد كان يراها ولم يكن بينه وبينها حجاب ولا يخفىٰ عليه شيء من محاسنها الظاهرة ولكن لم يرغبها لنفسه ورغبها لمولاه فكيف يمتد نظره إليها ويصيب قلبه سهم حبها بعد أن صارت زوجة لعبد من عبيده أنعم عليه بالعتق والحرية[٢].

الشبهة الثانية والعشرون: حول عصمة الرسول ﷺ وموقف القرآن من العصمة:

هناك من لا يعترفون بأن الرسول معصوم عن الخطأ، ويقدمون الأدلة علىٰ ذلك بسورة [عبس وتولىٰ] وكذلك عندما جامل الرسول ﷺ زوجاته، ونزلت الآية الكريمة التي تنهاه عن ذلك.

الرد على الشبهة: إن عصمة الرسول ﷺ، وكذلك عصمة كل الرسل – عليهم السلام – يجب أن تُفْهم في نطاق مكانة الرسول.. ومهمة الرسالة.. فالرسول: بشر

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٩ ـ ٢٠).

(٢) كتاب «مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُوحَىٰ إليه.. أي: أنه - مع بشريته - له خصوصية الاتصال بالسماء، بواسطة الوحي.. ولذلك فإن هذه المهمة تقتضي صفات يصنعها الله علىٰ عينه فيمن يصطفيه، كي تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكولة إلىٰ صاحبها.

والرسول مكلف بتبليغ الرسالة، والدعوة إليها، والجهاد في سبيل إقامتها وتطبيقها.. وله علىٰ الناس طاعة هي جزء من طاعة الله ﷻ: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]. ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]. ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة في هذا البلاغ الإلهي الذي اختيروا ليقوموا به بين الناس.. وبداهة العقل - فضلًا عن النقل - تحكم بأن مُرْسِل الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذي يضفي الصدق علىٰ رسالته، كان عابثًا.. وهو ما يستحيل علىٰ الله، الذي يصطفي من الناس رسلًا تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق علىٰ البلاغ الإلهي.. والحُجة علىٰ الناس بصدق هذا الذي يبلغون.

فالعصمة - كالمعجزة - ضرورة من ضرورات صدق الرسالة، ومن مقتضيات حكمة من أرسل الرسل - عليهم السلام -.

وإذا كان الرسول - كبشر - يجوز علىٰ جسده ما يجوز علىٰ أجساد البشر.. وإذا كان الرسول كمجتهد قد كان يمارس الاجتهاد والشورىٰ وإعمال العقل والفكر والاختيار بين البدائل في مناطق وميادين الاجتهاد التي لم ينزل فيها وحي إلهي.. فإنه معصوم في مناطق وميادين التبليغ عن الله ﷻ؛ لأنه لو جاز عليه الخطأ أو السهو أو مجانبة الحق والصواب أو اختيار غير الأولىٰ في مناطق وميادين التبليغ عن الله لتطرق الشك إلىٰ صلب الرسالة والوحي والبلاغ، بل وإلىٰ حكمة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من اصطفاه وأرسله ليكون حُجة علىٰ الناس.. كذلك كانت العصمة صفة أصيلة وشرطًا ضروريًّا من شروط رسالة جميع الرسل - عليهم السلام .. فالرسول في هذا النطاق - نطاق التبليغ عن الله - ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤]. وبلاغة ما هو بقول بشر، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله، وبغير العصمة لا يتأتىٰ له هذا المقام.

أما اجتهادات الرسول ﷺ فيما لا وحي فيه، والتي هي ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية، فلقد كانت تصادف الصواب والأولىٰ، كما كان يجوز عليها غير ذلك.

ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة، رضوان الله عليهم في كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول ﷺ يسألونه - قبل الإدلاء بمساهماتهم في الرأي - هذا السؤال الذي شاع في السُّنة والسيرة:

«يا رسول الله، أهو الوحي؟ أم الرأي والمشورة؟..».

فإن قال: إنه الوحي. كان منهم السمع والطاعة له؛ لأن طاعته هنا هي طاعة لله.. وهم يسلمون الوجه لله حتىٰ ولو خفيت الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم؛ لأن علم الله - مصدر الوحي - مطلق وكلي ومحيط، بينما علمهم نسبي، قد تخفىٰ عليه الحكمة التي لا يعلمها إلا الله.. أما إن قال لهم الرسول - جوابًا عن سؤالهم -: إنه الرأي والمشورة.. فإنهم يجتهدون، ويشيرون، ويصوبون؛ لأنه ﷺ هنا ليس معصومًا، وإنما هو واحد من المقدمين في الشورىٰ والاجتهاد.. ووقائع نزوله عن اجتهاده إلىٰ اجتهادات الصحابة كثيرة ومتناثرة في كتب السنة ومصادر السيرة النبوية - في مكان القتال يوم غزوة بدر.. وفي الموقف من أسراها.. وفي مكان القتال يوم موقعة أُحد.. وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق.. إلخ.. إلخ.

ولأن الرسول ﷺ قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة للأمة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

وحتىٰ لا يقتدي الناس باجتهاد نبوي لم يصادف الأولىٰ، كان نزول الوحي لتصويب اجتهاداته التي لم تصادف الأولىٰ، بل وعتابه - أحيانًا - علىٰ بعض هذه الاجتهادات والاختيارات من مثل: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [عبس].

ومن مثل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التحريم].

ومن مثل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنفال].

وغيرها من مواطن التصويب الإلهي للاجتهادات النبوية فيما لم يسبق فيه وحي؛ وذلك حتىٰ لا يتأسىٰ الناس بهذه الاجتهادات المخالفة للأولىٰ.

فالعصمة للرسول ﷺ فيما يبلغ عن الله شرط لازم لتحقيق الصدق والثقة في البلاغ الإلهي، وبدونها لا يكون هناك فارق بين الرسول وغيره من الحكماء والمصلحين، ومن ثم لا يكون هناك فارق بين الوحي المعصوم والمعجز وبين الفلسفات والإبداعات البشرية التي يجوز عليها الخطأ والصواب.. فبدون العصمة تصبح الرسالة والوحي والبلاغ قول بشر، بينما هي - بالعصمة - قول الله ﷻ الذي بلغه وبينه المعصوم عليه الصلاة والسلام.. فعصمة المُبَلِّغ هي الشرط لعصمة البلاغ.. بل إنها - أيضًا - الشرط لنفي العبث وثبوت الحكمة لمن اصطفىٰ الرسول وبعثه وأوحي إليه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بهذا البلاغ[١].

الشبهة الثالثة والعشرون: محاولة النبي محمد ﷺ الانتحار.

الرد على الشبهة: روىٰ البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلىٰ أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك،، فقال: اقرأ. قال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّيَ الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق]». فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل علىٰ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي**». فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ - ابن عم خديجة - وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، فيكتب بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترىٰ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأىٰ. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جذعًا ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قال: نعم، لم

(١) كتاب «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي»[(١)].

وفي هذا الحديث الموصول زيادة في آخره رواها الإمام عبد الرزاق عن معمر عن الزهري بلاغًا قال: «وفتر الوحي فترة حتىٰ حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنًا غَدَا منه مرارًا كي يتردىٰ من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفىٰ بذروة جبل، لكي يلقي منه نفسه، تبدىٰ له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقًّا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفىٰ بذروة جبل تبدىٰ له جبريل فقال له مثل ذلك».

... بهذه الزيادة طعن أعداء السنة والسيرة العطرة قديمًا وحديثًا في المحدثين زاعمين أن في هذه الرواية طعن في نبوة رسول الله ﷺ وعصمته.

ولعل الإمام البخاري وغيره ممن أخرج هذه الزيادة أرادوا بذلك التنبيه إلىٰ مخالفتها لما صَحَّ من حديث بدء الوحي الذي لم تذكر فيه هذه الزيادة، وخصوصًا أن البخاري لم يذكر هذه الزيادة في بدء الوحي، ولا التفسير، وإنما ذكرها في التعبير علىٰ ما سبق في التخريج وهذا ما يسمىٰ بالبلاغات.

... ويؤيد ما سبق، أن الأئمة الحفاظ يذكرون عقب هذه الزيادة حديث جابر الصحيح في فترة الوحي إلىٰ الزهري بنفس السند الذي يروونه عنه في حديث عائشة الأول، ويفهم من صنيعهم ذلك: أن الزهري نفسه كان يحدث بحديث جابر عقب حديث عائشة[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «إن القائل بلغنا كذا هو الزهري، وعنه حكىٰ البخاري هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولًا برسول الله ﷺ، وقال الكرماني:

(١) البخاري (٣)، ومسلم (٢٥٢ ـ ١٦٠).

(٢) كتاب «رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا هو الظاهر»[(١)].

هذا هو الصواب، وحاشا أن يُقْدِمَ رسول الله - وهو إمام المؤمنين - علىٰ الانتحار، أو حتىٰ علىٰ مجرد التفكير فيه.

وعلىٰ كُلٍّ فإن محمدًا ﷺ كان بشرًا من البشر ولم يكن ملكًا ولا مدعيًا للألوهية.

والجانب البشري فيه يعتبر ميزة كان ﷺ يعتني بها، وقد قال القرآن الكريم في ذلك: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء].

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادي لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ.

وحين فتر (تأخر) الوحي بعد أن تعلق به الرسول ﷺ كان يذهب إلىٰ المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو محبّ للمكان الذي جمع بينه وبين حبيبه بشيء من بعض السكن والطمأنينة.

وإذا كان البعض يستندون إلىٰ الآية الكريمة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف].

فالآية لا تشير أبدًا إلىٰ معنىٰ الانتحار، ولكنها تعبير أدبي عن حزن النبي محمد ﷺ بسبب صدود قومه عن الإسلام، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم ﷺ بدعوة الناس إلىٰ الله، وحرصه الشديد علىٰ إخراج الكافرين من الظلمات إلىٰ النور.

وهذا خاطر طبيعي للنبي الإنسان البشر الذي يعلن القرآن علىٰ لسانه ﷺ اعترافه واعتزازه بأنه بشر في قوله - ردًّا علىٰ ما طلبه منه بعض المشركين-:

---

(١) «فتح الباري» (١٢/ ٣٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾[الإسراء:٩٠-٩٢]. فكان رده: متعجبًا مما طلبوه ومؤكدًا أنه بشرٌ لا يملك تنفيذ مطلبهم: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[الإسراء].

أما قولهم على محمد ﷺ أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعًا.

حيث ثبت في صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول ﷺ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها؛ منها نبع الماء من بين أصابعه، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة، ومنها تكثير الطعام حتى يكفي الجم الغفير، وله معجزة دائمة هي معجزة الرسالة وهي القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه فَحُفِظَ، ووعد ببيانه؛ لذا يظهر بيانه في كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه(١).

الشبهة الرابعة والعشرون: ولادة النبي محمد ﷺ عادية.

الرد على الشبهة: لأن ولادة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ تمت على هبة من الله تبارك وتعالى للسيدة العذراء مريم ـ عليها السلام ـ وليس من خلال الزواج بينها وبين رجل. فبعض أهل الكتاب (النصارى منهم خاصة) يتصورون أن كل نبي لا بد أن يولد بمثل هذه الطريقة.

وإذا كانت ولادة محمد ﷺ مثل غيره من ملايين خلق الله فإن هذا عندهم مما يعيبونه به ﷺ ويطعنون في صحة نبوته.

(١) «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- فلم يدركوا أن بشرية محمد ﷺ هي واحدة من القسمات التي شاركه فيها كل رسل الله تعالىٰ منذ نوح وإبراهيم وغيرهما من بقية رسل الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام الذين ولدوا جميعًا من الزواج بين رجل وامرأة. ولم يولد من غير الزواج بين امرأة ورجل إلا عيسىٰ عليه السلام وهذه خصوصية له لم تحدث مع أي نبي قبله، ولم تحدث كذلك مع محمد ﷺ.

٢- كانت ولادة محمد ﷺ إعلانًا لكونه بشرًا من البشر يولد كما يولد البشر، ويجري عليه من الأحوال في أكله وشربه، وفي نومه وصحوه، وفي رضاه وغضبه وغير ذلك مما يجري علىٰ البشر كالزواج والصحة والمرض والموت أيضًا.

٣- كان محمد ﷺ يعتز بهذه البشرية ويراها سبيله إلىٰ فهم الطبيعة البشرية وإدراك خصائصها وصفاتها فيتعامل معها بما يناسبها، وقد اعتبر القرآن ذلك ميزة له في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة].

كما أعلن محمد ﷺ اعتزازه بهذه البشرية وعجزها حين أعلن قومه أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا فجر لهم ينابيع الماء من الأرض، أو أن يكون له بيت من زخرف، أو أن يروه يرقىٰ في السماء وينزل عليهم كتابًا يقرأونه، فكان رده ﷺ كما حكاه القرآن: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[الإسراء].

٤- لقد قرر القرآن قاعدة كون الرسل من جنس من يرسلون إليهم؛ بمعنىٰ أن يكون المرسلون إلىٰ الناس بشرًا من جنسهم، ولو كان أهل الأرض من جنس غير البشر لكانت رسل الله إليهم من نفس جنسهم وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[الإسراء].

وعلىٰ المعنىٰ نفسه جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾[البقرة].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالىٰ: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ [البقرة: ١٥١]. وقوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ ﴾ [الجمعة: ٢].

وغير هذا كثير مما أكده القرآن وهو المنطق والحكمة التي اقتضتها مشيئته ـ تعالىٰ ـ لما هو من خصائص الرسالات التي توجب أن يكون المرسل إلىٰ الناس من جنسهم حتىٰ يحسن إبلاغهم بما كلفه الله بإبلاغه إليهم وحتىٰ يستأنسوا به ويفهموا عنه.

ومن هنا تكون «بشرية الرسول» بمعنىٰ أن يجري عليه ما يجري علىٰ الناس من البلاء والموت، ومن الصحة والمرض وغيرها من الصفات البشرية فيكون ذلك أدعىٰ لنجاح البلاغ عن الله[1].

الشبهة الخامسة والعشرون: يحتاج محمد ﷺ إلىٰ الصلاة عليه.

الرد على الشبهة: الحق أن الصلاة علىٰ محمد ﷺ من ربه ومن المؤمنين ليست دليل حاجة بل هي مظهر تكريم واعتزاز وتقدير له من الحق سبحانه وتقدير له من أتباعه، وليست كما يزعم الظالمون لسد حاجته عند ربه؛ لأن ربه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

لأن أي مقارنة منصفة بين ما كان عليه ﷺ وبين غيره من أنبياء الله ورسله ترتفع به ليس فقط إلىٰ مقام العصمة؛ بل إلىٰ مقام الكمال الذي أتم به الله الرسالات، وأتم به

(١) «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التنزيل، وأتم به النعمة، فلم تعد البشرية بعد رسالته ﷺ بحاجة إلىٰ رسل ورسالات.

لذلك فإن رسالته ﷺ وهي الخاتمة والكاملة حملت كل احتياجات البشرية وما يلزمها من تشريعات ونظم ومعاملات وما ينبغي أن تكون عليه من أخلاق وحضارة مما افتقدت مثل كماله كل الرسالات السابقة.

وحسب رسالة محمد ﷺ أنها جاءت رحمة عامة للبشرية كلها كما قال القرآن: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء].

فلم تكن -كما جاء ما قبلها- رسالة خاصة بقوم رسولهم كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الأعراف:٧٥]. وهكذا كل رسول كان مرسلًا إلىٰ قومه..

وكانت رسالة محمد ﷺ إلىٰ العالمين وإلىٰ الناس كافة كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء]. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨].

ورسالة محمد ﷺ كانت فوق كونها عالمية فقد كانت هي الخاتمة والكاملة التي ـ كما أشرنا ـ تفي باحتياجات البشر جميعًا وتقوم بتقنين وتنظيم شئونهم المادية والمعنوية عبر الزمان والمكان بكل ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

وفي هذا قال الله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وقال في وصفه لإكمال الدين برسالة محمد ﷺ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن عموم رسالة محمد إلىٰ العالمين، وباعتبارها الرسالة الكاملة والخاتمة؛ يعني امتداد دورها واستمرار وجودها إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣ ـ الفتح: ٢٨ ـ والصف: ٩][(١)].

الشبهة السادسة والعشرون: الشيطان يوحي إلىٰ محمد ﷺ.

الرد على الشبهة: الظالمون لمحمد ﷺ يستندون في هذه المقولة إلىٰ أكذوبة كانت قد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه ﷺ كان يقرأ في الصلاة بالناس سورة النجم فلما وصل ﷺ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم].

تقول الأكذوبة: إنه ﷺ قال -حسب زعمهم-: تلك الغرانيق (الأصنام) العلىٰ، وإن شفاعتهن لترتجىٰ.

ثم استمر ﷺ في القراءة ثم سجد وسجد كل من كانوا خلفه من المسلمين وأضافت الروايات أنه سجد معهم من كان وراءهم من المشركين!!

وذاعت الأكذوبة التي عرفت بقصة «الغرانيق» وقال ـ من تكون أذاعتها في صالحهم ـ: إن محمدًا أثنىٰ علىٰ آلهتنا وتراجع عما كان يوجهه إليها من السباب. وإن مشركي مكة سيصالحونه وسيدفعون عن المؤمنين به ما كانوا يوقعونه بهم من العذاب.

وانتشرت هذه المقولة حتىٰ ذكرها عدد من المفسرين حيث ذكروا أن المشركين سجدوا كما سجد محمد ﷺ وقالوا له: ما ذكرت آلهتنا بخير قبل اليوم، ولكن هذا الكلام باطل لا أصل له.

---

(١) «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وننقل هنا عن الإمام ابن كثير في تفسيره الآيات التي اعتبرها المرتكز الذي استند إليه الظالمون للإسلام ورسوله وهي في سورة الحج حيث تقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحج].

وبعد ذكره للآيتين السابقتين يقول: «ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير ممن هاجروا إلىٰ الحبشة» ظنًّا منهم أن مشركي مكة قد أسلموا.

ثم أضاف ابن كثير يقول: «ولكنها - أي قصة «الغرانيق» - من طرق كثيرة مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح».

وقد أبطل العلماء قديمًا وحديثًا قصة الغرانيق. ومن القدماء الإمام الفخر الرازي الذي قال ما ملخصه:

«قصة الغرانيق» باطلة عند أهل التحقيق، وقد استدلوا علىٰ بطلانها بالقرآن والسنة والمعقول؛ أما القرآن فمن وجوه: منها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقة].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم].

وقوله سبحانه حكاية عن رسوله ﷺ: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس:١٥].

وأما بطلانها بالسنة فيقول الإمام البيهقي: روىٰ الإمام البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة «النجم» فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث «الغرانيق» وقد روىٰ هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها ألبتة حديث الغرانيق[1].

(١) «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الإمام ابن حزم: «وأما الحديث الذي فيه: وإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجىٰ، فكذب بحت موضوع؛ لأنه لم يصح قط من طريق النقل، فلا معنىٰ للاشتغال به؛ إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد»(١).

بطلان قصة «الغرانيق» بالمعقول فمن وجوه منها:

أ ـ أن من جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه ﷺ كان لنفي الأصنام وتحريم عبادتها؛ فكيف يجوز عقلًا أن يثني عليها؟

ب ـ ومنها: أننا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ﷺ فإنه لا فرق – في منطق العقل – بين النقصان في نقل وحي الله وبين الزيادة فيه(٢).

الشبهة السابعة والعشرون: محمد ﷺ يحرّم ما أحل الله.

الرد على الشبهة: استند الظالمون لمحمد ﷺ في توجيه هذا الاتهام إلىٰ ما جاء في مفتتح سورة التحريم من قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم].

وهذه الآية وآيات بعدها تشير إلىٰ أمر حدث في بيت النبي ﷺ عاتبته نساؤه وتظاهرن عليه بدوافع الغيرة المعروفة عن النساء عامة؛ إذ كان ﷺ قد دخل عند إحداهن وأكل عندها طعامًا لا يوجد في بيوتهن، فأسر إلىٰ إحداهن بالأمر فأخبرت به أخريات فعاتبنه فحرّم ﷺ تناول هذا الطعام علىٰ نفسه ابتغاء مرضاتهن.

والواقعة صحيحة لكن اتهام الرسول بأنه يحرّم ما أحل الله هو تصيّد للعبارة وحمل لها علىٰ ما لم ترد له..

فمطلع الآية ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١] هو فقط من باب «المشاكلة»

---

(١) «الفصل» (٤/ ١٨).

(٢) «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لما قاله النبي لنسائه ترضية لهن؛ والنداء القرآني ليس اتهامًا له ﷺ بتحريم ما أحل الله؛ ولكنه من باب العتاب له من ربه سبحانه الذي يعلم تبارك وتعالىٰ أنه ﷺ يستحيل عليه أن يحرّم شيئًا أو أمرًا أو عملًا أحلّه الله؛ ولكنه يشدد علىٰ نفسه لصالح مرضاة زوجاته من خلقه العالي الكريم.

ولقد شهد الله للرسول بتمام تبليغ الرسالة فقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة].

وعليه فالقول بأن محمدًا ﷺ يحرّم ما أحل الله من المستحيلات علىٰ مقام نبوته التي زكاها الله تبارك وتعالىٰ، وقد دفع عنه مثل ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

فمقولة بعضهم أنه يحرّم هو تحميل اللفظ علىٰ غير ما جاء فيه، وما هو إلا وعد أو عهد منه ﷺ لبعض نسائه فهو بمثابة يمين له كفارته ولا صلة له بتحريم ما أحل الله.

الشبهة الثامنة والعشرون: كاد محمد ﷺ أن يفتن.

الرد على الشبهة: أخذوا ذلك من فهم مغلوط لآيات سورة الإسراء: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

بعض ما قيل في سبب نزول هذه الآية أن وفد ثقيف قالوا للرسول ﷺ: أجّلنا سنة حتىٰ نقبض ما يهدىٰ لآلهتنا من (الأصنام) فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا، فهَمّ ﷺ بقبول ذلك فنزلت الآية.

قوله تعالىٰ: ﴿كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضوه عليك لولا تثبيت الله لك بالرشد والعصمة، ولو فعلت لعذبناك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات؛ يعني: قاربت أن تستجيب لما عرضوه لكنك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بتثبيت الله لم تفعل لعصمة الله لك.

وكل مَنْ هُمْ علىٰ مقربة من الثقافة الإسلامية يعرفون أن «الهمّ» أي: المقاربة لشيء دون القيام به أو الوقوع فيه لا يعتبر معصية ولا جزاء عليه، وهو مما وضع عن الأمة وجاء به ما صح عن النبي ﷺ قوله: «**وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّم بِهِ**»(١)، وعليه.. فإنه لا إثم ولا شيء يؤخذ علىٰ محمد ﷺ في ذلك(٢).

الشبهة التاسعة والعشرون: قاتل محمد ﷺ في الشهر الحرام.

الرد على الشبهة: وذلك لما ورد في آيات سورة البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾[البقرة:٢١٧].

والمسلمون جميعًا وعلىٰ رأسهم إمامهم ورسولهم محمد ﷺ هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها واعتبار القتال فيها حدثًا كبيرًا أو كأنه كبيرة من الكبائر..

لكن ما الذي يفعله المسلمون إذا ما ووجهوا من أعدائهم من المشركين بالقتال والعدوان علىٰ الأنفس والأموال والأعراض، ليس هذا فحسب بل ماذا يفعل المسلمون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وهم أولىٰ به من غيرهم؟!

إن قانون «الدفع الحضاري» الذي يقره القرآن الكريم لحماية الكون من إفساد المتجبرين والظلمة، ثم لحماية بيوت العبادة للمسلمين والنصارىٰ واليهود أيضًا، والذي عبرت عنه الآيتان الكريمتان: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

(١) البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (٢٠١ ـ ١٢٧).

(٢) «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج]. هذا القانون القرآني - وليس قانون من ضربك علىٰ خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر - هو وحده الذي يحمي الكون والناس من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين.

وذلك علىٰ أساس أن من يمكن الله لهم في الأرض بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم يجب - وبحسب القانون القرآني - أن يكونوا صالحين وأخيارًا؛ بمعنىٰ: أن يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم لا في الطغيان والتجبر ولكن في حماية القيم النبيلة التي يُحْمَىٰ بها العدل والحق وتُمَكِّنُ لكل ما هو خير، وتنفي كل ما هو شر حتىٰ تنعم البشرية بالأمن والاستقرار، وتعتدل أمور الحياة والناس.

وهذا ما جاءت الآية التالية للآيتين السابقتين لتقره حيث يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج].

ولأن إقرار حقوق عباد الله في أرض الله وحماية المستضعفين من بطش المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم فقد أبيح القتال فيها لمن ظُلموا من المسلمين ومن فُتنوا في دينهم وأُخرجوا من ديارهم ظلمًا وعدوانًا.

وهذا ما تقرره الآية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة:٢١٧].

الشبهة الثلاثون: محمد ﷺ مذنب كما في القرآن.

الرد على الشبهة: أخذوها من فهمهم الخاطئ في مفتتح سورة «الفتح»: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفتح].

فقالوا: كتاب محمد يعترف عليه ويصفه بأنه مذنب !!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسيرة محمد سيد الخلق وخاتم الأنبياء ﷺ كتاب كبير مفتوح استوفى فيه كُتَّاب سيرته كل شيء في حياته: في صحوه ونومه وفي حربه وسلمه، وفي عبادته وصلواته، في حياته مع الناس، بل وفي حياته بين أهله في بيته.

ليس هذا فحسب بل إن صحابته حين كانوا يروون عنه حديثًا أو يذكرون له عملًا يصفونه ﷺ وصفًا بالغ الدقة وبالغ التحديد لكافة التفاصيل حتىٰ ليقول أحدهم: قال ﷺ كذا وكان متكئًا فجلس، أو قال كذا وقد امتلأ وجهه بالسرور وهذا ما يمكن وصفه بلغة عصرنا: إنه تسجيل دقيق لحياته ﷺ بالصوت والصورة..

ثم جاء القرآن الكريم فسجل له شمائله الكريمة فقال عنه: إنه الرحمة المهداة إلىٰ عباد الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

ووصفه بأنه الرءوف الرحيم بمن أرسل إليهم: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]. ثم لخص القرآن مجمل شمائله ﷺ في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم].

أكثر من هذا أن تكفل القرآن بإذاعة حتىٰ ما هو من خلجات الرسول وحديث نفسه الذي بينه وبين الله مما لا يطلع الناس عليه علىٰ نحو ما جاء في سورة الأحزاب في أمر الزواج بزينب بنت جحش والذي كان القصد التشريعي فيه إبطال عادة التبني من قوله تعالىٰ: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ [الأحزاب].

أقول: مع أن سيرة محمد ﷺ هي كتاب مفتوح لم يخف التاريخ منه شيئًا بل وتدخل القرآن ليكشف حتىٰ ما يُحَدِّث به نفسه ﷺ مما لا يطلع عليه الناس، ولم يذكر له ﷺ ذلةً ولا ذنبًا في قول أو عمل.

أفبعد هذا لا يتورع ظالموه من أن يقولوا أنه «مذنب»!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو كان هؤلاء الظالمون لمحمد ﷺ علىٰ شيء من سلامة النظر وصفاء القلوب لانتبهوا إلىٰ بقية سورة الفتح، والتي كانت كلها تثبيتًا للمؤمنين وللرسول وتبشيرًا لهم بالتأييد والنصر.. لو كان محمد ﷺ - كما ادعيتم - من المذنبين والعاصين لكان من المستحيل أن يجعله الله تعالىٰ ممن يؤيدهم بنوره ويتم عليهم نعمته ويهديهم صراطًا مستقيمًا؛ لأن النصر يكون للصالحين لا للمذنبين.

ونقف أمام الذنب في منطوق الآية: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح]. (فالذنب هنا ليس مما تعارف عليه الناس من الخطأ والآثام؛ لأن سنة الله تبارك وتعالىٰ هي عصمة جميع أنبيائه وفي قمتهم خاتمهم ﷺ. وهذا مما يعرفه ويقره ويقرره أتباع كل الرسالات إلا قتلة الأنبياء ومحرّفي الكلم عن مواضعه من اليهود الذين خاضوا في رسل الله وأنبيائه بما هو معروف.

فالذنب هو ما يمكن اعتباره ذنبًا علىٰ مستوىٰ مقام نبوته ﷺ ذنبًا مما تقدره الحكمة الإلهية ـ لا ما تحدده أعراف الناس.

ومع هذا كله فإن سيرة محمد ﷺ قبل البعثة كانت محل تقدير قومه وإكبارهم له لما اشتهر به ﷺ من العفة والطهر والتميز عن جميع أترابه من الشباب حتىٰ كان معروفًا بينهم بالصادق الأمين.

أفبعد هذا لا يستحي الظالمون لمحمد ﷺ والحاقدون عليه من أهل الكتاب أن يقولوا: إنه مذنب؟!!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف:٥].

الشبهة الإحدى والثلاثون: قولهم عنه (ساحر، كاهن، يستخدم الدجل والشعوذة).

الرد: هذه الصفات التي وصفه بها كفار قريش لما جاءهم بالحق ولم يستطيعوا له رد فجنحوا إلىٰ هذه التهم والأوصاف حتىٰ يصدوا الناس عنه؛ إذ إنه لا يجلس إليه أحد فيعرض عليه الإسلام ويقرأ القرآن علىٰ مسامعه إلا أخذ بلب جليسه وأسر قلبه فأراد المعاندون بإثارة هذه الشبهة أن يصدوا الناس عن الجلوس إليه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسماعه خاصة في المواسم التي يجتمع فيها الناس من أنحاء الجزيرة العربية.

هذا عتبة بن ربيعة جاء مندوبًا لقريش لمفاوضة النبي ﷺ حتىٰ يترك دعوته فيقول له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، ثم عرض عليه المال والملك، وعرض عليه ما استطاعه من الإغراء حتىٰ إذا فرغ عتبة من كلامه ورسول الله ﷺ يستمع إليه فقال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل. فقال الحبيب ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت]. ومضىٰ رسول الله ﷺ يقرأ وقد ألقىٰ عتبة يديه وراء ظهره معتمدًا عليهما وهو يسمع منصتًا حتىٰ انتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ السجدة فسجد، ثم قال: «**قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْتَ وَذَاكَ**» وعاد عتبة إلىٰ أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله قد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، أطيعوني واجعلوها لي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم[(١)].

فهذا عتبة بن ربيعة وهو من صناديد قريش وسادتهم بعدما سمع القرآن وجلس إلىٰ النبي ﷺ ينفي أن يكون شاعرًا أو كاهنًا أو ساحرًا.

وهذا النضر بن الحارث سيد آخر من سادة قريش وكبير من كبرائهم ممن كفر حسدًا وحقدًا يقوم في قريش ذات يوم ويقول: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، فقد كان فيكم محمد غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا وأعظمكم أمانة حتىٰ إذا رأيتم في صدغه الشيب. وجاءكم بما

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٢٠٥)، «السيرة النبوية» (٢/ ١٣٠ـ١٣١)، وحسنه الألباني في «فقه السيرة» (ص١٠٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جاءكم به قلتم: ساحر لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. قلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر قريش فانظروا في شأنكم؛ فإنه والله قد نزل لكم أمر عظيم[(١)]. فهاتان شهادتان من أعدىٰ أعداءه تثبت كذبهم وافتراءهم عليه. يقول كارليل في رده علىٰ اتهام النبي ﷺ بالدجل والشعوذة:

وتتصادم وتتناقض مع نظرية الاتهام بالدجل والشعوذة والاحتيال علىٰ عقول العرب المتخلفين السذج حقيقة أنه قد عاش طوال حياته الفريدة المثال حياة هادئة وادعة كل الهدوء والوداعة، حتىٰ آخر عمره إذ توفاه الله وفاة طبيعية، وانتقل بكل هدوء ووداعة وصفاء ونقاء إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، ولقد كان ﷺ في الأربعين من عمره قبل أن يتكلم بكلمة واحدة عن رسالة السماء إليه وكان كل طموحه فيما يبدو ينحصر في أن يعيش حياة فاضلة، وكانت سمعته بين قومه تنحصر في أنه كان يحظىٰ بالسمعة الطيبة، بين كل الناس الذين عاشوا بالقرب منه وعرفوه عن كثب[(٢)].

الشبهة الثانية والثلاثون: ومفادها أن النبي ﷺ مارس الجنس مع فاطمة بنت أسد وهي ميتة، حاشاه.

وهم يستندون إلىٰ هذه الرواية التي ذكرها ابن عبد البر في «الاستيعاب» من حديث ابن عباس أنه قال: لما دفنت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها في قبرها فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه فقال: **«إِنَّهُ لَمْ أَجِدْ بَعْدَ أَبِي طَالِب أَبَرَّ بِي مِنْهَا، إِنَّمَا أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتُكْسَىٰ مِنْ حُلَل**

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٢) «الأبطال وعبادة البطولة» المحاضرة الثانية: البطل في صورة رسول.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجَنَّة، وَاضطجَعْتُ مَعَهَا لِيهون عَلَيْهَا».

الرد: أولًا نبين ما معنىٰ الاضطجاع في العربية: قال صاحب اللسان: ضجع أصل الفعل من الاضطجاع، ضجع يضجع، ضجعًا وضجوعًا فهو ضاجع وقلما يستعمل، والافتعال منه اضطجع يضطجع اضطجاعًا فهو مضطجع، واضطجع: نام وقيل: استلقىٰ ووضع جنبه بالأرض.

واضطجع فلانًا: إذا وضع جنبه بالأرض، وضجع وهو يضجع نفسه ورجل ضجعة مثال همزة: يكثر الاضطجاع كسلان.

والضجعة: هيئة الاضطجاع.

والمضاجع جمع المضجع قال ﷻ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة].

أي: تتجافىٰ عن مضاجعها التي اضطجعت فيها، والاضطجاع في السجود: أن يتضام ويلتصق صدره بالأرض، وإذا قالوا: صلىٰ مضطجعًا فمعناه أن يضطجع علىٰ شقه الأيمن مستقبلًا للقبلة.

وفي الحديث: كانت ضجعة رسول الله ﷺ أدمًا حشوها ليف.

نتفهم مما سبق أن المعنىٰ العام للاضطجاع هو النوم أو الاستلقاء علىٰ الجنب.

وهو واضح بَيِّن، وها هي الروايات توضح هذا الذي قلناه:

ففي «أسد الغابة»: أن رسول الله ﷺ كفن فاطمة بنت أسد في قميصه واضطجع معها في قبرها.

بل وروي عن ابن عباس نحو هذا وزاد فقالوا: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ أَبَرَّ مِنْهَا** – قَالَهُ ابْن حبيب – **إِنَّمَا أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتُكْسَىٰ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا لِيُهَوِّنَ عَلَيْهَا عَذَابَ الْقَبْرِ**» [أسد الغابة لابن الأثير].

الباب الخامس

تقديم رؤية إسلامية

لتصحيح الصورة الغربية للإسلام وثوابته ورموزه

أولًا: نبين ما هي ضوابط الدين الحق:

كل صاحب ملة يعتقد أن ملته هي الحق، وكل أتباع دين يعتقدون أن دينهم هو الدين الأمثل والمنهج الأقوم، وحينما تسأل أتباع الديانات المحرفة أو أتباع الملل البشرية الوضعية عن الدليل علىٰ اعتقادهم، فيحتجون بأنهم وجدوا آباءهم علىٰ طريقة، فهم علىٰ آثارهم مقتدون، ثم يذكرون حكايات وأخبارًا لا يصح سندها، ولا يسلم متنها من العلل والقوادح، ويعتمدون علىٰ كتب متوارثة لا يعلم من قالها ولا من كتبها، ولا بأي لغة كتبت أول مرة، ولا في أي بلد وجدت، إنما هي أمشاج جمعت فعظمت فتوارثتها الأجيال دون تحقيق علمي يحرر السند، ويضبط المتن.

وهذه الكتب المجهولة والحكايات والتقليد الأعمىٰ لا تصلح حجة في باب الأديان والعقائد، فهل كل هذه الأديان المحرفة والملل الفاسدة علىٰ حق؟

يستحيل أن يكون الجميع علىٰ حق؛ لأن الحق واحد لا يتعدد، ويستحيل أن تكون كل هذه الأديان المحرفة والملل البشرية من عند الله وأنها حق، وإذا تعددت – والحق واحد – فأيها الحق؟ إذًا فلا بد من ضوابط نعرف بها الدين الحق من الدين الباطل، فإذا وجدنا هذه الضوابط منطبقة علىٰ دين علمنا أنه الحق، وإذا اختلت هذه الضوابط أو واحد منها في دين علمنا أنه باطل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ الضوابط التي نميز بها بين الدين الحق والدين الباطل هي:

الأول: الدين من عند الله أنزله بواسطة الملك جبريل علىٰ رسوله ليبلغه إلىٰ عباده؛ لأن الدين الحق هو دين الله، والله - سبحانه - هو الذي يدين ويحاسب الخلائق يوم القيامة علىٰ الدين الذي أنزله إليهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء].

وبناء علىٰ ذلك فأي دين يأتي به شخص ما وينسبه إلىٰ نفسه لا إلىٰ الله فهو دين باطل لا محالة.

الثاني: الدين يدعو إلىٰ إفراد الله سبحانه بالعبادة، وتحريم الشرك، وتحريم الوسائل المفضية إليه؛ لأن الدعوة إلىٰ التوحيد هي أساس دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، وكل نبي قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]. وعليه فإن أي دين اشتمل علىٰ الشرك وأشرك مع الله غيره من نبي أو ملك أو ولي فهو دين باطل ولو انتسب أصحابه إلىٰ نبي من الأنبياء.

الثالث: فالدين هو الأصول التي دعت إليها الرسل من عبادة الله وحده، والدعوة إلىٰ صراطه، وتحريم الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل النفس بغير حق، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]. وقال جل ثناؤه: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف].

الرابع: ألا يكون متناقضًا ولا مختلفًا بعضه مع البعض الآخر، فلا يأمر بأمر ثم ينقضه بأمر آخر، ولا يحرم شيئًا ثم يبيح ما يماثله من غير علة، ولا يحرم أمرًا أو يجيزه لفرقة ثم يحرمه على أخرى، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

الخامس: أن يتضمن الدين ما يحفظ على الناس دينهم وأعراضهم وأموالهم وأنفسهم وذرياتهم بما يشرع من الأوامر والنواهي والزواجر والأخلاق التي تحفظ هذه الكليات الخمس.

السادس: الدين رحمة للخلق من ظلم أنفسهم وظلم بعضهم لبعض، سواء أكان هذا الظلم بانتهاك الحقوق، أم بالاستبداد بالخيرات، أم بإضلال الأكابر للأصاغر، قال - تعالى - مخبرًا عن الرحمة التي ضمنها التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقال سبحانه مخبرًا عن مبعث عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾ [مريم:٢١]، وقال جل ثناؤه عن صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣]، وقال عز من قائل عن القرآن: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

السابع: في الدين الهداية إلى شرع الله، ودلالة الإنسان على مراد الله منه، وإخباره من أين أتى؟ وإلى أين المصير؟ قال تعالى مخبرًا عن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال عز شأنه عن الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦]. وقال جل ثناؤه عن القرآن الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، والدين الحق هو الذي يتضمن الهداية إلى شرع الله، ويحقق للنفس الأمن والطمأنينة، حيث يدفع عنها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كل وسوسة، ويجيب عن كل تساؤل، ويبين عن كل مشكل.

الثامن: الدين يدعو إلىٰ مكارم الأخلاق والأفعال؛ كالصدق والعدل والأمانة والحياء والعفاف والكرم، وينهىٰ عن سيئها كعقوق الوالدين، وقتل النفس، وتحريم الفواحش والكذب والظلم والبغي والبخل والفجور.

التاسع: الدين يحقق السعادة لمن آمن به، قال تعالىٰ: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ [طه]، وأن يكون متفقًا مع الفطرة السوية: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾[الروم:٣٠]، متفقًا مع العقل الصحيح؛ لأن الدين الصحيح هو شرع الله، والعقل الصحيح هو خلق الله، ومحال أن يتناقض شرع الله وخلقه.

العاشر: الدين يدل علىٰ الحق، ويحذر من الباطل، ويرشد إلىٰ الهدىٰ، وينفر من الضلال، وأن يدعو الناس إلىٰ صراط مستقيم لا التواء فيه ولا اعوجاج، قال تعالىٰ مخبراً عن الجن إنهم حينما سمعوا القرآن قال بعضهم لبعض: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠ ﴾ [الأحقاف]، فلا يدعوهم إلىٰ ما فيه شقاؤهم قال تعالىٰ: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ [طه]. ولا يأمرهم بما فيه هلاكهم قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝٢٩ ﴾ [النساء: ٢٩]، ولا يفرق بين أتباعه بسبب الجنس أو اللون أو القبيلة قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣ ﴾ [الحجرات]. فالمعيار المعتبر للتفاضل في الدين الحق هو تقوىٰ الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معنى كلمة الإسلام

إذا راجعت معاجم اللغة علمت أن معنىٰ كلمة الإسلام هو «الانقياد والخضوع والإذعان والاستسلام والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض»، وقد سمىٰ الله الدين الحق الإسلام؛ لأنه طاعة لله وانقياد لأمره بلا اعتراض، وإخلاص العبادة له سبحانه وتصديق خبره والإيمان به، وأصبح اسم الإسلام عَلَمًا علىٰ الدين الذي جاء به محمد ﷺ.

❁ التعريف بالإسلام:

لماذا سمي الدين بالإسلام؟ إن جميع ما في الأرض من مختلف الديانات قد سميت بأسمائها إما نسبة إلىٰ اسم رجل خاص، أو أمة معينة، فالنصرانية أخذت اسمها من «النصارىٰ»، وتسمت البوذية علىٰ اسم بانيها بوذا، واشتهرت الزرادشتية بهذا الاسم؛ لأن مؤسسها وحامل لوائها كان زرادشت، وكذلك ظهرت اليهودية بين ظهراني قبيلة تعرف «بيهوذا»، فسميت باليهودية، وهلم جرًّا، إلا الإسلام فإنه لا ينتسب إلىٰ رجل خاص، ولا إلىٰ أمة بعينها، وإنما يدل اسمه علىٰ صفة خاصة يتضمنها معنىٰ كلمة الإسلام، ومما يظهر من هذا الاسم أنه ما عني بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من البشر، وليس خاصًّا بأمة معينة دون سائر الأمم، وإنما غايته أن يحلي أهل الأرض جميعًا بصفة الإسلام، فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم فهو مسلم، ويكون مسلمًا كل من سيتحلىٰ بها في المستقبل.

وهذا الدين - وهو دين الإسلام - الذي لا يقبل الله دينًا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء علىٰ دين الإسلام، قال الله تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ ﴾ [يونس: ٧١، ٧٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال جل ثناؤه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ [البقرة]، وقال عز شأنه عن موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ في خبر المسيح عليه السلام: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ۖ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ [المائدة].

فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للعباد وهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وأنزل به خاتم رسله، وإرشادًا لمن أراد الهداية، ودليلًا لمن أراد السعادة، فوالله لن يجد مخلوق السعادة الحقيقية إلا في هذا الدين، ولن يعرف الطمأنينة إلا من آمن بالله ربًّا، وبمحمد ﷺ رسولًا، وبالإسلام دينًا، فقد شهد الآلاف من المهتدين إلىٰ الإسلام - في قديم الدهر وحديثه - بأنهم لم يعرفوا الحياة الحقيقية إلا بعد إسلامهم، ولم يذوقوا السعادة إلا في ظلال الإسلام(١).

حتىٰ غير المسلمين فنجد منهم من شهد بأن المستقبل سوف يشهد انتشار الإسلام فها هو المفكر والمؤرخ الإنجليزي المعروف برنارد شو يقول: لقد وضعت دائمًا دين محمد ﷺ موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة، فهو الدين الوحيد الذي يلوح إلي أنه جائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة، بحيث يستطيع أن يكون جذابًا لكل جيل من الناس.

ومضىٰ يقول: ولقد تنبأت بأن دين محمد ﷺ سيكون مقبولًا لدىٰ أوربا غدًا، وقد بدأ كونه مقبولًا لديها اليوم(٢).

ويقول الكونت هنري دي كاستري: الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا تجد فيه مرتدين... ومن العسير، وبل من المحال أن نتصور صورة دقيقة للحالة النفسية التي يكون عليها المسلم إذا ما حاول أحد المسيحيين أن يقنعه باعتناق المسيحية....لعلنا

(١) «الإسلام أصوله ومبادئه».

(٢) كتاب «الإسلام الصحيح» (ج١رقم ٨/ ١٩٣٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نجد صورة مقاربة شيئًا ما لهذا، إذا ما تخيلنا إحساسات وشعور رجل مسيحي مستنير يحاول أحد الوثنيين أن يجتذبه إلىٰ اعتناق خرافاته المرذولة[١].

❀ التوحيد في الإسلام:

إن التوحيد عقيدة فكرية جذرية وهي بمثابة الروح في جميع تعاليم الإسلام، وهي تعني أن الكون له مالك واحد، له القدرة جميعًا، أزلي لا يحده مكان ولا زمان، مهيمن علىٰ الدنيا ومن عليها من البشر.

وإنه لأمر عجيب حقًّا أن يرقب الإنسان ما في الطبيعة من قوىٰ مبدعة لا تنضب، وما فيها من نظام محكم هادف وتناسب واع دقيق، وقدرتها علىٰ الإبقاء علىٰ الأصلح والقضاء علىٰ ما يضر الناس ثم لا يدرك رغم كل ما يرىٰ أن وراء هذه الطبيعة إرادة شاملة مبدعة دائمة لا تهن ولا تتوقف، وأن الظواهر الطبيعية جميعها إن هي إلا من آياتها البينات.

هذه الكواكب التي تملأ صفحة هذا الفضاء اللانهائي، وهذه المناظر الخلابة التي تأخذ بمجامع القلوب، وهذه الدورة الشمسية الخلابة التي تأخذ بمجامع القلوب، وهذه الدورة الشمسية العجيبة ما بين قرب وبعد وضخامة وتضاؤل، وهذا التناسق المدهش بين الفصول وتتابعها وتعاقب النهار والليل، وهذه الموارد المائية التي لا تنضب، وهذه الأزهار الرقيقة وذلك اللألاء المترامي أليس في كل ذلك ما يشير إلىٰ رب هذا الكون وخالقه والمسيطر عليه؟ حيثما وجهنا النظر في هذا الكون لا نرىٰ إلا إبداعًا محكمًا، أفلا يدل علىٰ من أبدعه فأحكمه، ولا نرىٰ إلا جمالًا وتناسقًا ودقة في الحركة، فهل يكون ذلك بغير خالق؟ إن الطبيعة تسير وفق خطة محكمة الدقة، ولا يعقل أن تكون هذه الدقة دون قدرة خططت لها، وإننا لنلمس حكمة سامية وراء وجود هذه الطبيعة والوجود الإنساني، ولا بد أن هناك إرادة مدبرة لكل ذلك. إن هذا

---

(١) كتاب «الإسلام سوانح وخواطر».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكون أشبه بالقصة الرائعة المتكاملة فهل يجوز أن لا يكون وراءها من أبدعها؟ أنصتوا إلىٰ هذه الحقيقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة].

تلك هي العقيدة الأساسية التي دعا محمد ﷺ جميع البشر ليدينوا بها(١).

❁ التوحيد في التوراة والإنجيل:

وكما بينا التوحيد في الإسلام فإننا نجد التوحيد أيضًا في التوراة والإنجيل.

- التوحيد في التوراة:

ففي حوالي عام ١٤٩١ ق. م أنزل الله ﷻ التوراة علىٰ موسىٰ فيها هدىٰ ونور، وأمر قومه فيها أن يعبدوه وحده سبحانه، ونهاهم عن عبادة الأصنام التي تعبدها الأمم الوثنية من حولهم؛ ذلك أن الله هو ربهم الإله الواحد القادر العظيم الذي ليس هناك ربًّا غيره، ولا إله سواه: (أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، ولا يكن لك آلهة أخرىٰ أمامي) [سفر الخروج ٢١-١-٢].

(ولا تذكروا اسم آلهة أخرىٰ ولا يسمع من فمك) [سفر الخروج ١٣:٢٣].

(الرب هو الإله ليس آخر سواه) [سفر التثنية ٤:٣٥].

(أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري) [إشعياء٤٤:٦].

(أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي) [إشعياء٤٥:٥].

- التوحيد في الإنجيل:

بعث الله ﷻ المسيح عليه السلام رسولًا إلىٰ بني إسرائيل، فجاءهم بمعجزات باهرة أيده الله تعالىٰ بها، لقد أنزل الله جل وعلا عليه الإنجيل، وأيده بروح القدس عليه السلام، وكان

(١) كتاب «لماذا أسلمنا».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبرئ الأكمه والأبرص وكان يسوي من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا، وكان يحيي الموتىٰ، وكل ذلك بإذن الله رب العالمين، وقد دعا المسيح عليه السلام إلىٰ الوحدانية، ووصف الله تعالىٰ بأنه الإله الحق وحده، وخلال دعوته قومه بَيَّن المسيح عليه السلام أنه جاء رسولًا إلىٰ بني إسرائيل فقط وليس إلىٰ جميع الأمم، ولم يدع المسيح عليه السلام الإسرائيليين إلىٰ عبادته والسجود له، وإنما أمرهم أن يعبدوا الله تعالىٰ، فهو رب العالمين، وهو إله الأولين والآخرين وقد جاء ذلك جليًّا في وصاياه وأقواله التي في الأناجيل: (لم أرسل إلا إلىٰ خراف بيت إسرائيل الضالة) [متىٰ:١٥:٣٤].

(إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد) [مرقس ١٢:٢٩].

(للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) [متىٰ ٤:١٠ لوقا ٤ : ٨].

(أنت الإله الحقيقي وحدك) [يوحنا ١٧:٤].

أضف إلىٰ ذلك أن الدارس للأناجيل الأربعة يجدها تشهد أن المسيح عليه السلام لم يكن إلهًا ولا ربًّا، وإنما كان رسولًا ونبيًّا من أنبياء بني إسرائيل أرسله الله تعالىٰ يحثهم علىٰ التوبة، ويهديهم إلىٰ سبيل الخلاص، ومن ذلك قوله عليه السلام: (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك، أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) [يوحنا ١٧:٣].

(والذي أرسلني هو معي) [يوحنا٨:٢٩].

ولقد شهد أهل مدينة نايين علىٰ بشرية المسيح عليه السلام لما رأوه يُحيي الموتىٰ- بإذن الله تعالىٰ- وأنه نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل (لقد قال لابن الأرملة الميت: أيها الشاب، لك أقول: قم، فجلس الميت، وبدأ يتكلم فسلمه إلىٰ أمه، واستولىٰ الخوف علىٰ الجميع، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه) [لوقا:٧: ١١-١٧].

فتأمل يا جارنا، لقد شهدوا له بالنبوة، وليس بالألوهية. نعم، إنه نبي عظيم، وإنه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسول أمين وطوبىٰ لمن لا يعثر فيه[١].

❁ خصائص الإسلام:

ومن تلك الخصائص التي تثبت تميز الإسلام، ومدىٰ حاجة الناس إليه ما يلي:

١- أنه جاء من عند الله: والله ﷻ أعلم بما يصلح عباده، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك].

٢- أنه يبين بداية الإنسان، ونهايته، والغاية التي خلق من أجلها.

قال - تعالىٰ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء].

وقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه].

٣- أنه دين الفطرة: فلا يتنافىٰ معها قال - تعالىٰ -: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم].

٤- أنه يعتني بالعقل ويأمر بالتفكر، ويذم الجهل، والتقليد الأعمىٰ، والغفلة عن التفكير السليم، قال - تعالىٰ -: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران].

٥- الإسلام عقيدة وشريعة: فهو كامل في عقيدته وشرائعه؛ فليس دينًا فكريًّا فحسب، أو خاطرة تمر بالذهن، بل هو كامل في كل شيء، مشتمل علىٰ العقائد الصحيحة، والمعاملات الحكيمة، والأخلاق الجميلة، والسلوك المنضبط؛ فهو دين فرد وجماعة، ودين آخرة وأولىٰ.

---

(١) «التوحيد في التوراة والإنجيل والقرآن» (ص ٦: ٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- **أنه يعتني بالعواطف الإنسانية**، ويوجهها الوجهة الصحيحة التي تجعلها أداة خير وتعمير.

٧- **أنه دين العدل**: سواء مع العدو، أو الصديق، أو القريب، أو البعيد.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل:٩٠]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢].

٨- **الإسلام دين الأخوة الصادقة**: فالمسلمون إخوة في الدين، لا تفرقهم البلاد، ولا الجنس، ولا اللون، فلا طبقية في الإسلام، ولا عنصرية، ولا عصبية لجنس أو لون أو عرق، ومعيار التفاضل في الإسلام إنما يكون بالتقوىٰ.

٩- **الإسلام دين العلم**: فالعلم فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة، والعلم يرفع صاحبه إلىٰ أعلىٰ الدرجات، قال -تعالىٰ-: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة:١١].

١٠- **أن الله تكفل لمن أخذ بالإسلام وطبقه بالسعادة، والعزة، والنصرة فردًا كان أم جماعة**: قال - تعالىٰ -: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور:٥٥].

وقال: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل].

١١- **في الإسلام حل لجميع المشكلات**: لاشتمال شريعته و أصولها علىٰ أحكام ما لا يتناهىٰ من الوقائع.

١٢- **أن شريعته أحكم ما تساس به الأمم**، وأصلح ما يقضىٰ به عند التباس المصالح، أو التنازع في الحقوق.

١٣- **الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، وأمة وحال**، بل لا تصلح الدنيا بغيره، ولهذا كلما تقدمت العصور، وترقت الأمم ظهر برهان جديد علىٰ صحة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإسلام، ورفعة شأنه.

١٤- **الإسلام دين المحبة، والاجتماع، والألفة، والرحمة**: قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ**»(١).

١٥- **الإسلام دين الحزم والجد والعمل**: قال النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَاحْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَلَا تَعْجَزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**»(٢).

١٦- **الإسلام أبعد ما يكون عن التناقض**: قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

١٧- **أنه يحمي معتنقيه من الفوضىٰ والضياع والتخبط**، ويكفل لهم الراحة النفسية والفكرية.

١٨- **الإسلام واضح ميسور**، وسهل الفهم لكل أحد.

١٩- **الإسلام دين مفتوح** لا يغلق في وجه من يريد الدخول فيه.

٢٠- **الإسلام يرتقي بالعقول**، والعلوم، والنفوس، والأخلاق، فأهله المتمسكون به حق التمسك هم خير الناس، وأعقل الناس، وأزكىٰ الناس.

٢١- **الإسلام يدعو إلىٰ حسن الأخلاق والأعمال**: قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

---

(١) البخاري (٦٠١١).

(٢) مسلم (٣٤ـ ٢٦٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢- **الإسلام يحفظ العقول**؛ ولهذا حرم الخمر، والمخدرات، وكل ما يؤدي إلىٰ فساد العقل.

٢٣- **الإسلام يحفظ الأموال**؛ ولهذا حَثَّ علىٰ الأمانة، وأثنىٰ علىٰ أهلها، ووعدهم بطيب العيش، ودخول الجنة، وحرم السرقة، وتوعد فاعلها بالعقوبة، وشرع حد السرقة وهو قطع يد السارق؛ حتىٰ لا يتجرأ أحد علىٰ سرقة الأموال؛ فإذا لم يرتدع خوفًا من عقاب الآخرة ارتدع خوفًا من قطع اليد.

ولهذا يعيش أهل البلاد التي تطبق حدود الشرع آمنون علىٰ أموالهم، بل إن قطع اليد قليل جدًّا؛ لقلة من يسرق.

ثم إن قطع يد السارق فيه حكمة الزجر للسارق من معاودة السرقة، وردع أمثاله عن الإقدام عليها، وهكذا تحفظ الأموال في الإسلام.

٢٤- **الإسلام يحفظ الأنفس**؛ ولهذا حرم قتل النفس بغير الحق، وعاقب قاتل النفس بغير الحق بأن يقتل.

ولأجل ذلك يقل القتل في بلاد المسلمين التي تطبق شرع الله؛ فإذا علم الإنسان أنه إذا قتل شخصًا سيقتل به كَفَّ عن القتل، وارتاح الناس من شر المقاتلات.

٢٥-**الإسلام يحفظ الصحة**: فالإشارات إلىٰ هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا سواء في القرآن أو السنة النبوية.

قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف].

قال العلماء: إن هذه الآية جمعت الطب كله؛ ذلك أن الاعتدال في الأكل والشرب من أعظم أسباب حفظ الصحة.

ومن الإشارات لحفظ الصحة أن الإسلام حرم الخمر، ولا يخفىٰ ما في الخمر من أضرار صحية كثيرة، فهي تضعف القلب، وتغري الكلىٰ، وتمزق الكبد إلىٰ غير ذلك من أضرارها المتنوعة.

ومن ذلك أن الإسلام حرّم الفواحش من زنًىٰ ولواط، ولا يخفىٰ ما فيهما من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأضرار الكثيرة، ومنها الأضرار الصحية التي عرفت أكثر ما عُرِفَت في هذا العصر من زهري، وسيلان، وهربس، وإيدز ونحوها.

ومن حفظ الإسلام للصحة أنه حرّم لحم الخنزير، الذي عرف الآن أنه يولّد في الجسم أدواءً كثيرة، ومن أخصِّها الدورة الوحيدة، والشعرة الحلزونية، وعملهما في الإنسان شديد، وكثيرًا ما يكونان السبب في موته.

ومن الإشارات في هذا الصدد ما عرف من أسرار الوضوء، وأنه يمنع من أمراض الأسنان، والأنف، بل هو من أهم الموانع للسل الرئوي؛ إذ قال بعض الأطباء: إن أهم طريق لهذا المرض الفتاك هو الأنف، وإن أنوفًا تغسل خمس عشرة مرة لجديرة بأن لا تبقىٰ فيها جراثيم هذا الداء الوبيل؛ ولذا كان هذا المرض في المسلمين قليلًا وفي الإفرنج كثيرًا.

والسبب أن المسلمين يتوضؤون للصلاة خمس مرات في اليوم، وفي كل وضوء يغسل المسلم أنفه مرة أو مرتين أو ثلاثًا.

٢٦-**يتفق مع الحقائق العلمية**: ولهذا لا يمكن أن تتعارض الحقائق العلمية الصحيحة مع النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة.

وإذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة فإما أن يكون الواقع مجرد دعوىٰ لا حقيقة لها، وإما أن يكون النص غير صريح في معارضته؛ لأن النص وحقائق العلم كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيَّين.

ولقد قرر هذه القاعدة كثير من علماء المسلمين، بل لقد قررها كثير من الكتاب الغربيين المنصفين، ومنهم الكاتب الفرنسي المشهور (موريس بوكاي) في كتابه: (التوراة والإنجيل والقرآن) حيث بَيَّنَ في هذا الكتاب أن التوراة المحرفة، والإنجيل المحرف الموجودين اليوم يتعارضان مع الحقائق العلمية، في الوقت الذي سَجَّلَ فيه هذا الكتاب شهادات تَفَوُّق للقرآن الكريم سبق بها القرآنُ العلمَ الحديثَ.

وأثبت الكاتب من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبدًا مع الحقائق العلمية،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بل إنه يتفق معها تمام الاتفاق.

ولقد تظافرت البراهين الحسية، والعلمية، والتجريبية على صدق ما جاء به الإسلام حتى في أشد المسائل بعدًا عن المحسوس، وأعظمها إنكارًا في العصور السابقة.

خذ على سبيل المثال قول النبي ﷺ: «**طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّات أُولَاهنَّ بِالتُّرَابِ**»(١).

ولقد جاء الطب باكتشافاته ومكبراته فأثبت أن في لعاب الكلب مكروباتٍ وأمراضًا فتاكة لا يزيلها الماء وحده، وأظهرت البحوث العلمية الحديثة أنه يحصل من إنقاء التراب لهذه النجاسة ما لا يحصل بغيره.

وجاء-أيضًا- أن شرب الكلب في الإناء يسبب أمراضًا خطيرة، فالكلب كثيرًا ما تكون فيه ديدان مختلفة الأنواع، ومنها دودة شريطية صغيرة جدًّا، فإذا شرب في إناء، أو لمس إنسانٌ جسد الكلب بيده أو بلباسه انتقلت بويضات هذه الديدان إليه، ووصلت إلى معدته في أكله، أو شربه، فتثقب جدرانها، وتصل إلى أوعية الدم، وتصل إلى الأعضاء الرئيسة، فتصيب الكبد، وتصيب المخ، فينشأ عنه صداع شديد، وقيءٌ متوالٍ، وفقد للشعور، وتشنجات، وشلل في بعض الأعضاء، وتصيب القلب، فربما مزقته، فيموت الشخص في الحال.

ثم إن العلوم الطبيعية تؤيد الإسلام، وتؤكد صحته على غير علم من ذويها.

مثال ذلك: تلقيح الأشجار الذي لم يكتشف إلا منذ عهد قريب، وقد نص عليه القرآن الذي أنزل على النبي الأمي منذ أربعة عشر قرنًا في قوله-تعالى-: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾ [ق]. وقوله: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات:٤٩]. وقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ [يس:٣٦].

---

(١) مسلم (٩١ ـ ٢٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذا كلام رب العالمين في القرآن قبل أن تبين لنا العلوم الطبيعية أن في كل نبات ذكرًا وأنثىٰ.

ولقد اعتنق بعض الأوربيين الإسلام لما وجد وصف القرآن للبحر وصفًا شافيًا مع كون النبي ﷺ لم يركب البحر طول عمره، وذلك مثل قوله -تعالىٰ-: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠].

٢٧- **الإسلام يكفل الحريات ويضبطها**: فحرية التفكير في الإسلام مكفولة، وقد منح الله الإنسان الحواس من السمع، والبصر، والفؤاد، ليفكر، ويعقل، ويصل إلىٰ الحق، وهو مأمور بالتفكير الجاد السليم، ومسئول عن إهمال حواسه وتعطيلها، كما أنه مسئول عن استخدامها فيما يضر.

والإنسان في الإسلام حرٌّ في بيعه، وشرائه، وتجارته، وتنقلاته، ونحو ذلك ما لم يتعد حدود الله في غشٍّ، أو خداع، أو إفساد.

والإنسان في الإسلام حُرٌّ في الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا من مأكول، أو مشروب، أو مشموم، أو ملبوس ما لم يرتكب محرمًا يعود عليه، أو علىٰ غيره بالضرر.

ثم إن الإسلام يضبط الحريات؛ فلا يجعلها مطلقة سائمة في مراتع البغي والتعدي علىٰ حريات الآخرين؛ فالشهوة علىٰ سبيل المثال لو أطلقت لاندفع الإنسان وراء شهواته، التي تكون سببًا في هلاكه؛ لأن طاقته محدودة، فإذا استنفذت في اللهو والعبث والمجون لم يبق فيها ما يدفعها إلىٰ الطريق الجاد، ويدلها علىٰ مسالك الخير؛ فليس من الحرية - إذًا - أن يسترسل في شهواته وملذاته غير مبالٍ بحلالٍ أو حرامٍ، وغير ناظر في العواقب.

إن نهايته ستكون وخيمة في العاجل قبل الآجل؛ إن ثرواته ستتبدد، وإن قواه ستنهار، وإن صحته ستزول، وبالتالي سيكون تعيسًا محسورًا.

ثم هَبْ أن الإنسان أطلق لشهواته العنان هل سيجد الراحة والطمأنينة؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجواب: لا؛ وإذا أردت الدليل علىٰ ذلك فانظر إلىٰ عالمنا المعاصر بحضارته المادية، لما أطلق حرية العبث والمجون، ولم يحسن استخدامها حدثت القلاقل، والمصائب، والأمراض الجسدية والنفسية، وشاع القتل، والنهب، والسلب، والانتحار، والقلق، وأمراض الشذوذ.

وليست الحرية - أيضًا - بالسير وراء الأطماع التي لا تقف عند حد، دونما مبالاة في آثارها علىٰ الآخرين؛ فهل يعد من الحرية ما يقوم به الأقوياء من سطو علىٰ الضعفاء، واستخفاف بحقوقهم، ومصادرة لآرائهم كما هي حال الدول الكبرىٰ في عالمنا المعاصر؟

الجواب: لا؛ فالحرية الحقة هي ما جاء به الإسلام، وهي الحرية المنضبطة التي تحكم تصرفات الإنسان، والتي يكون فيها الإنسان عبدًا لربه وخالقه؛ فذلك سر الحرية الأعظم؛ فالإنسان إذا تعلق بربه خوفًا، وطمعًا، وحبًّا، ورجاءً، وذلًّا، وخضوعًا تحرر من جميع المخلوقين؛ ولم يعد يخاف أحدًا غير ربه، ولا يرجو سواه، وذلك عين فلاحه وعزته.

وبالجملة فالإسلام دين الكمال والرفعة، ودين الهداية والسمو[(١)].

❁ الإسلام يفرض على المسلمين الإيمان بجميع الأنبياء:

إن الله أرسل إلىٰ خلقه رسلًا يبشرونهم بالنعيم إذا آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وينذرونهم العذاب إذا عصوا، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال جل ثناؤه: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

وهؤلاء الرسل كثير، أولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، ومنهم من أخبرنا الله عنهم كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وداود ويحيىٰ وزكريا وصالح عليهم السلام،

(١) كتاب «تعريف غير المسلمين بالإسلام».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنهم من لم يذكر الله خبره، قال تعالىٰ: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[النساء:١٦٤] وهؤلاء الرسل كلهم بشر مخلوقون لله، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية نصيب، فلا يصرف لهم من العبادة أي جزء، ولا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، قال الله تعالىٰ عن نوح عليه السلام وهو أولهم - أنه قال لقومه: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [هود:٣١]، وأمر الله تعالىٰ محمدًا - وهو آخرهم - أن يقول: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾[الأنعام:٥٠]، وأن يقول: ﴿لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الأعراف:١٨٨].

فالأنبياء عباد مكرمون، اصطفاهم الله وأكرمهم بالرسالة، ووصفهم بالعبودية، دينهم الإسلام، ولا يقبل الله دينًا سواه، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، اتفقت رسالاتهم في أصولها، وتنوعت شرائعهم، قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨]، وخاتمة هذه الشرائع شريعة محمد ﷺ، وهي ناسخة لكل شريعة سابقة، وأن رسالته خاتمة الرسالات، وهو خاتم المرسلين(١).

إن الإسلام فرضَ علَىٰ كل مَن دخل فيه أن يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، وبالكتب السماوية الَّتِي أوحي الله بها من قديم الزمان، وليس بمسلم مَن لم يؤمن بالأنبياء كلهم، وبالكتب المنزلة علَىٰ الرسل المبعوثين من قبل؛ فالرسل الَّذِين سماهم الله في القرآن يجب علَىٰ المسلم أن يؤمن بهم إيمان تفصيل، والذين لم تُذكَر أسماؤهم يؤمن المسلم بهم إيمان إجمال بأنهم كانوا صادقين هداة للبشر، وكانوا ينابيع الخير والحكمة. وقد وصف الله المسلمين بأنهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البقرة:٤]، ويقول تعالىٰ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[البقرة:٢٨٥]؛ فليس للمسلم أن يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض.

---

(١) «الإسلام مبادئه وأصوله».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد خاطب الله المسلمين جميعًا بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ ﴾[(١)] [النساء: ١٣٦].

❁ من ثمرات الإيمان بالرسل:

١- العلم برحمة الله، وعنايته بعباده؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلىٰ صراط الله، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، ويسيرون علىٰ طريق مستقيمة في هذه الحياة؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

٢- شكر الله علىٰ هذه النعمة.

٣- محبة الرسل، وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله، ولأنهم قاموا بعبادة الله، وتبليغ دعوته، والنصح لعباده، ولأنهم خير البشر، وصفوتهم، وأحسنهم أخلاقًا، وأعظمهم عبادة[(٢)].

❁ الحرية الحقة:

يدندن الغرب بكل ما أوتي من فصاحة، بأنه زعيم دعاة حرية الإنسان والحارس الأمين لحرية الرأي والتعبير، ومن منافحته عن حرية الرأي والتعبير، أنه لا يرىٰ بأسًا في إيذاء مشاعر الشعوب، واستثارة حنقها وغضبها بالتعدي علىٰ مقدساتها، والنيل من أديانها فلو رجعنا إلىٰ وثائق هؤلاء المشرعين الوضعيين الغربيين في مجال حرية الرأي بعد تجاربهم الطويلة فإننا سنجدهم ينقسمون قسمين:

قسم يرىٰ حرية القول دون قيد إلا فيما يمس النظام العام، وهؤلاء لا يعيرون الأخلاق أي اهتمام، وتطبيق رأيهم يؤدي دائمًا إلىٰ التباغض والتنابذ والتحزب ثم القلاقل والثورات وعدم الاستقرار.

وقسم يرىٰ تقييد حرية الرأي في كل ما يخالف رأي الحاكمين ونظرتهم للحياة،

---

(١) «الرسالة المحمدية».

(٢) كتاب «تعريف غير المسلمين بالإسلام».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتطبيق رأي هؤلاء يؤدي إلىٰ كبت الآراء الحرة، وإبعاد العناصر الصالحة عن الحكم، ويؤدي في النهاية إلىٰ الاستبداد، ثم القلاقل والثورات.

أما الدين الإسلامي دين الوسطية، فإنه يجمع بين الحرية والتقييد، فلا يسلم بالحرية علىٰ إطلاقها، ولا بالتقييد علىٰ إطلاقه.

- فالقاعدة الأساسية هي حرية القول، وأهم القيود علىٰ هذه الحرية:

١ - ألا يكون في القول عدوان، وأن يكون طيبًا بعيدًا عن الفحش والقبح وبذاءة اللسان يقول المولىٰ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾[الحج].

٢- الدعوة إلىٰ الرأي بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل:١٢٥].

٣- أن يكون الكلام مطابقًا للحقيقة صادقًا مثبتًا، بعيدًا عن الظن، فإن الأصل في حرية القول هو الصدق في الأقوال؛ لأن الكذب قبيح مذموم، فقد حَثَّ الإسلام علىٰ توخي الصدق؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة].

٤- ألا يسمح بالمساس بالقواعد الخلقية، ولا يسمح بتحسين الأقوال أو الأفعال القبيحة كالنفاق وتعاطي الرشوة، والتعامل بالربا، وفعل المنكرات.

٥- عدم السماح بتشكيك الناس بمعتقداتهم، ونشر الإلحاد في المجتمع، والعمل علىٰ تفريق الأمة والشعوب، كي تصبح شيعًا يقاتل بعضها بعضًا.

٦- عدم الاجتراء علىٰ الأديان السماوية، والإضرار بالإسلام وأهله عامة؛ إذ تجب العقوبة حدًّا وتعزيرًا في هذه الحالة علىٰ المفسد المسيء لاستخدام الحرية.

٧- تحري الحق والعدل، وترك المحاباة والمجاملة التي تعلي الباطل وتزهق الحق هذه الحرية الحقة المقننة بكل دقة لها ثمراتها علىٰ الفرد والمجتمع، إذ هي تنشر الثقة بين أفراد الأمة، وتؤدي إلىٰ نمو الإخاء والحب والاحترام بين الأفراد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشعوب، كما تؤدي إلىٰ قوة بناء الأمة وتماسكها وتضامنها فلا يطمع فيها عدوها وتجعل من أمة الإسلام هي الأمة الداعية إلىٰ الخير والسلام في العالم أجمع.

٨- وإن من نتاج هذه الحرية أن الإسلام كفل حرية الأديان التي انطوت تحت لواء حكمه وخاصة الأديان السماوية، فالإسلام قد قرر هذه الحرية دون أن يخوض تجارب سلبية دامية كتجربة محاكم التفتيش في العصور الأوروبية الوسطىٰ.

٩- كذلك الأسبان عندما غلبوا المسلمين علىٰ الأندلس، خيروهم بين ترك الأندلس أو الدخول في دين النصرانية أو القتل، فقضوا بهذه الحرية الجائرة علىٰ ملايين المسلمين ومنعوا أن يذكر اسم الله في دولة كاملة عاش المسلمون فيها ثمانية قرون.

أما حرية الإسلام فإنها تعلن أنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وفي هذا ما يدحض تلك الافتراءات القائلة بأن الدين الإسلامي انتشر بحد السيف، وآخرها تلك الرسومات البشعة الكاذبة التي نشرتها الصحف الدنماركية ومن تبعها فأظهرت سيد الخلق وأشرفهم وأكرمهم ﷺ وهو يعتم بعمامة مليئة بالقذائف إشارة إلىٰ الإرهاب.

كيف يكون ذلك وهو المبلغ لقول المولىٰ ﷻ: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ [الشورىٰ: ٤٨] فهذه الآية الكريمة تلزم الناس أن يحترموا حق الغير في اعتقاد ما يشاء، وفي تركه يعمل طبقًا لشريعته، فليس لأحد أن يكره آخر علىٰ اعتناق عقيدة ما أو ترك أخرىٰ. وإن كان عليه إقناعه بالحسنىٰ فإن قبل عن اقتناع كان له ذلك، و إلا فإنه يكفي صاحب العقيدة المضادة أنه أدىٰ واجبه فبين الخطأ وأرشد إلىٰ الحق بالحسنىٰ.

والإسلام دين الحرية الحقة هو الذي أمَّن غير المسلمين علىٰ شعائرهم الدينية وتركهم يمارسونها بشكل لم يعرف له مثيل في أي دين أو نظام آخر؛ فالرسول الكريم ﷺ يدعو إلىٰ تركهم وما يدينون، واليهود والنصارىٰ يترددون علىٰ كنائسهم وبيعهم في ظل الدولة الإسلامية ولم يعرف أن حاكمًا مسلمًا هدم كنيسة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو أغلق بيعة أو حولها إلىٰ مسجد، ومن سماحة الإسلام أن المسلم إذا كانت تحته كتابية فلا يمنعها من ممارسة شعائر دينها.

ولنقارن بين هذه الحرية الحقة التي دعا إليها الإسلام علىٰ يد أشرف الخلق محمد ﷺ وبين الحرية المعاصرة التي لبست وجوهًا وأقنعة كثيرة مبهرجة لخداع الناس، ولنستعين بذاكرة التاريخ، ونرىٰ ما فعلته الشيوعية وأمثالها بالمسلمين في كل أنحاء المعمورة، فألبستهم لباس الجوع والخوف ومنعتهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وهدمت المساجد ومنعت الأذان، وأجبرتهم علىٰ تغيير هويتهم الإسلامية، حتىٰ الأسماء الشخصية والحروف العربية لم تسلم من ذلك الجبروت[1].

وهكذا نكران الجميل!

بعث الله تعالىٰ نبيه محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وهاديًا للبشر أجمعين، ومعيدًا الأمور إلىٰ أنصبتها، جاء بالعدل، وحكم بالعدل، وأمر بالعدل، وبيّن كيف يكون العدل.

كان عليه الصلاة والسلام عادلًا مع نفسه، عادلًا مع أتباعه، عادلًا مع أعدائه، عادلًا مع القريب والبعيد، عادلًا مع كل شيء حتىٰ الحيوانات والجمادات.

جاء فأنصف عيسىٰ عليه السلام مما رماه به أعداؤه اليهود، حين اتهموا أمه العذراء بالزنا، وأنه ولد زنا، وأنصفه من غلو من غلا فيه وجعله الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، فقال للغلاة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وأنصفه ممن أنكر نبوته من اليهود، وجعل الإيمان بعيسىٰ قرين الإيمان به، والكفر بعيسىٰ قرين الكفر به، ولا يصح إيمان عبد إلا إذا آمن بعيسىٰ عليه السلام، وأثبت معجزاته، وبيّن أنه أدىٰ رسالة ربه، وأنه من ذوي العزم من الرسل عليهم السلام.

فبماذا كافأه النصارىٰ، هل اعترفوا بفضله، هل راعوا إنصافه، هل أقروا بنصرته

---

(١) د. نجاح بنت أحمد الظهار المصدر «موسوعة الدفاع عن الرسول» الجزء العاشر، الباب الحادي عشر: مقالات وخطب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لعيسىٰ عليه السلام؟ للأسف الشديد، الواقع يقول: لقد أنكروا معروفه، وجحدوا فضله، وكذبوا بشارة عيسىٰ عليه السلام به، وما هذه الرسوم الساخرة إلا دليل علىٰ تكذيبهم بمحمد ﷺ، ودليل علىٰ نكرانهم للجميل، ودليل أنهم لم يصدقوا عيسىٰ عليه السلام في بشارته بسيد الخلق محمد ﷺ[١].

ولكن الأستاذ ليتسين أستاذ الديانة المسيحية في جامعة برمنغهام في بريطانيا اعترف بهذا الجميل لسيدنا محمد ﷺ وشكره في قصيدة جميلة ألقاها علىٰ حشد من أبناء ديانته ونختم بها هذا البحث فيقول ليتسين[٢]:

يـا ابن مكة ويا نسل الأكرمين

يا معيد مجد الآبـاء والأمهات

يا مخلص العالم من ذل العبودية

إن العالم ليفتـــخر بك

ويشكر الله علىٰ تلك المنحة العزيزة

ويقــدر لك مجهوداتك كلها

يا نـــسل الخليل إبراهيم

يا من منحت السلام إلىٰ العـالم

ووفقـــت بين قلوب البشـر

وجعـــلت الخلاص شعارك

يا مـن قلت في شريعـــتك

إنما الأعمـــال بالنيـــات

لـك منا جـــزيل الشـكر

(١) «موسوعة الدفاع عن الرسول» الجزء العاشر الباب الحادي عشر.

(٢) المصدر «اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء»، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إثبات المصادر والمراجع

١- «**تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**» للإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي الناشر دار الحديث ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

٢- «**السيرة النبوية**» لابن هشام، الناشر دار الصحابة للتراث بطنطا، تحقيق ودراسة مجدي فتحي السيد الطبعة الأولىٰ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣- «**الرحيق المختوم**» تأليف فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري الطبعة الرابعة١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م دار الوفاء.

٤- «**تعريف غير المسلمين بالإسلام**» لمحمد بن إبراهيم الحمد.

٥- «**تاريخ الدعوة إلىٰ الله بين الأمس واليوم**» لآدم عبد الله الألوري مدير مركز التعليم العربي أجيجي نيجريا الناشر مكتبة وهبة الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦- «**من أخلاق الرسول**» بقلم عبد المحسن بن حمد العباد البدر المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٧- «**الطعن في القرآن الكريم والرد علىٰ الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري**» لعبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري الناشر: رسالة لنيل درجة الدكتوراة من كلية دار العلوم.

٨- «**محمد ﷺ أعظم عظماء العالم**» لأحمد ديدات ترجمة علي الجوهري مكتبة القرآن طبعة خاصة لمكتبة الأسرة.

٩- «**من أخلاق الرسول**» لمحمود المصري، دار التقوىٰ الطبعة الأولىٰ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- «**مفهوم الحكمة في الدعوة**» لصالح بن عبد الله بن حميد الطبعة: الأولىٰ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ١٤٢٢هـ.

١١- «**رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ**» لعماد السيد محمد إسماعيل الشربيني المدرس بكلية أصول الدين جامعة الأزهر.

١٢- «**أعلام النبوة**» للإمام أبو الحسن الماوردي الناشر مكتبة الآداب بالجماميز.

١٣- «**مختصر إظهار الحق**» للعلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي تحقيق محمد أحمد عبد القادر ملكاوي الطبعة الأولىٰ الناشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية١٤١٥هـ.

١٤- «**محمد ﷺ المثل الكامل**» لمحمد أحمد جاد المولىٰ بك مكتبة عالم الكتب.

١٥- «**قالوا عن الإسلام**» للدكتور عماد الدين خليل الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

١٦- «**الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية**» لأحمد مصطفىٰ متولي دار ابن الجوزي الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م.

١٧- «**الأدلة المادية**» للشيخ محمد متولي الشعراوي طبعة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٩٠-١٩٩١م.

١٨- «**معجزة القرآن**» للشيخ محمد متولي الشعراوي طبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٩١م-١٩٩٢م.

١٩- «**الله والعلم الحديث**» لعبد الرازق نوفل دار الشروق طبعة خاصة لمكتبة الأسرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٠- «**التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث**» للدكتور الفرنسي موريس بوكاي ترجمة علي الجوهري مكتبة القرآن.

٢١- «**من عالم الشهرة إلىٰ رحاب الإيمان**» لأسماء الجهيني مكتبة ابن سينا.

٢٢- «**السيرة النبوية وأوهام المستشرقين**» لعبد المتعال الجبري مكتبة وهبة الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٣- «**محمد** ﷺ» لكارين آرمسترونج مكتبة سطور الطبعة الثانية ١٩٩٨م، ترجمة د/ فاطمة نصر، ود/ محمد عناني.

٢٤- «**أوروبا والإسلام**» لفضيلة الشيخ عبد الحليم محمود مطابع الأهرام رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٥٦/ ١٩٧٣م.

٢٥- «**الإسلام أصوله ومبادئه**» للمؤلف محمد بن عبد الله بن صالح السحيم الطبعة الأولىٰ الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية١٤٢١هـ.

٢٦- «**مناهل العرفان في علوم القرآن**» للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني الجزء الثاني دار الفكر ببيروت.

٢٧- «**الأبطال وعبادة البطولة**» لتوماس كارليل ترجمة محمد السباعي الطبعة الثالثة ١٣٤٩ هـ-١٨٨١ م.

٢٨- «**الإسلام خواطر وسوانح**» للكونت هنري دي كاستري ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، الناشر دار الفرجاني.

٢٩- «**الرسول حياة محمد**» تأليف ر. ف. بودلي ترجمة محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر.

٣٠- «**حياة محمد**» تأليف واشنجتون أرفنج ترجمة وتعليق الدكتور علي حسني

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخربوطلي دار المعارف الطبعة الثانية.

٣١- «**المستشرقون والإسلام**» لزكريا هاشم لجنة التعريف بالإسلام يصدرها المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية.

٣٢- «**شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول**» لمحمد علي الصابوني طبعة السيد حسن عباس الشربتلي.

٣٣- «**حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين**» إشراف وتقديم د/ محمود حمدي زقزوق ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٤- «**موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ**» جمعها علي بن نايف الشحود.

٣٥- «**لماذا أسلمنا؟**» المترجم مصطفىٰ جبر مكتبة الحرمين طبعة يوليو ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٣٦- «**التوحيد في التوراة والإنجيل والقرآن**» لعبد الملك علي الكليب الناشر مكتبة رحمة الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٦م.

٣٧- «**الرسالة المحمدية**» للسيد سليمان الندوي، دار الفتح، نشرها قصي محي الدين الخطيب الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ وهي محاضرات كان ألقاها العلامة السيد سليمان الندوي - في جامعة مدارس الهند وقد ألقيت سنة (١٣٤٤هـ) باللغة الأوردية - لغة عامة الهند -.

٣٨- «**تاريخ التطور الفكري الأوروبي**» لجون وليام دريبر. طبعة لندن (١٨٧٥م).

٣٩- «**محمد ﷺ في حياته الخاصة**» لنظمي لوقا مكتبة غريب ١٩٨٦م.

٤٠- «**حياة محمد**» لمحمد حسين هيكل دار المعارف ١٩٨٦م.

٤١- «**حياة محمد**» للسير وليم موير.

٤٢- «**العالم الإسلامي**» لماكس مايرهوف فرنسا ١٩٢٦م طبعة فرنسية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٣- «**إنسانية الإسلام**» لمارسيل بوازار.

٤٤- «**حضارة العرب**» لجوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي ١٩٦٩م.

٤٥- «**المحمدية**» هـ. أ. ر. جب، في طبعة لندن (١٩٥٣م).

٤٦- «**قصة الحضارة**» لول ديورانت ترجمة زكي نجيب محمود.

٤٧- «**تاريخ الأتراك**» لامارتين طبعة باريس ١٨٥٤م.

٤٨- «**دفاع عن الإسلام**» للدكتورة لورا فيشيا فاغليري أستاذة اللغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة نابولي.

٤٩- «**محمد في المدينة**» لمونتغري وات إنجلترا ١٩٦٢م طبعة إنجليزية.

٥٠- «**نظرات في الكون والقرآن**» لعبد الهادي ناصر، المكتبة الأكاديمية الطبعة الأولىٰ ١٩٩٥م.

٥١- «**مع المفسرين والمستشرقين حول زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش**» للدكتور زاهر عوض الألمعي.

٥٢ – « **الإسلام الصحيح**» لبرنارد شو.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الكتاب

الإهداء ٣
تقديم أ.د / صبري عبد الرءوف ٥
تقديم أ.د/ أحمد منصور سبالك ٧
مقدمة المؤلف ١٧

الباب الأول

التعريف بالنبي محمد ﷺ ورسالته

وإبراز جوانب الرحمة والتسامح والحكمة في دعوته

أولًا: التعريف بالنبي محمد ﷺ ورسالته ٢١
ثانيًا: المهمات التي جاء من أجلها سيدنا محمد ﷺ ٢٦
ثالثًا: جوانب من رحمته وتسامحه وعظمته في دعوته ﷺ ٣٤
رابعًا: عفوه وحلمه ﷺ ٤٥
خامسًا: نصحه عليه الصلاة والسلام وحكمته في دعوته ٤٨

الباب الثاني

علاقة رسالة سيدنا محمد ﷺ بالرسالات السابقة منذ آدم ﷺ

- الله يأخذ الميثاق من الأنبياء لنصرة النبي محمد ﷺ ٥٢
- الرسول وأمته شهداء للأنبياء علىٰ قومهم ٥٣
- الرسالة المحمدية وإتمامها ما كان ناقصًا في الديانات السابقة ٥٨
- الرسالة المحمدية تبشر الناس وتوسع ما ضيقه الآخرون ٦١
- الله سبحانه وتعالىٰ نسخ بشريعة الإسلام كل الشرائع السابقة ٦٤

الباب الثالث

الأدلة العقلية والكونية والعلمية على نبوة النبي ﷺ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولًا: الأدلة العقلية علىٰ نبوة سيدنا محمد ﷺ ٦٥
ثانيًا: الأدلة الكونية علىٰ نبوة النبي ﷺ ٨٨
ثالثًا: الأدلة العلمية علىٰ نبوة سيدنا محمد ﷺ ٩٩

الباب الرابع

● **ادعاءات المستشرقين حول النبي ﷺ والردعليها** ١١١

الباب الخامس

تقديم رؤية إسلامية لتصحيح الصورة الغربية للإسلام وثوابته ورموزه

● تبيين ما هي ضوابط الدين الحق ١٦٣
● معنىٰ كلمة الإسلام ١٦٧
● التوحيد في الإسلام ١٦٩
● التوحيد في التوراة ١٧٠
● التوحيد في الإنجيل ١٧٠
● خصائص الإسلام ١٧٢
● الإسلام يفرض علىٰ المسلمين الإيمان بجميع الأنبياء ١٧٩
● من ثمرات الإيمان بالرسل ١٨١
● الحرية الحقة ١٨١
- **المصادر والمراجع** ١٨٦
- **فهرس الكتاب** ١٩١

شبكة الألوكة - قسم الكتب